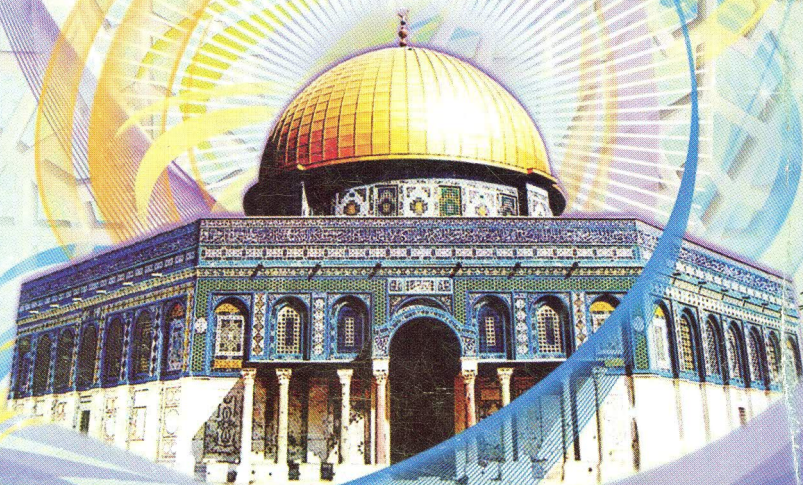


كتاب المحلل

اللغة في محراب القدس شريك المقاومة وسجل الحقائق

د. محمد محمد داود



كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن مؤسسة دارالهلال

الإدارة

القاهرة - ١٦ شارع محمد عز العرب
 بلك (المبتدئين سابقا) ت. ٣٣٢٥٥٠
 (٧ خطوط) ، التقيسات ص.ب. ٦١
 العتبة - القاهرة - الرقم البريدي
 ١١٥١١ - تلفراليا ، الصور - القاهرة ج.
 ٤.٠
 تلكس ،

Telek: 92703 hilal u n

FAX : 3625469

الإصدار الأول / يونيو ١٩٥١

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي ٧٣ ج.م داخل
 جمهورية مصر العربية تسدد مقدما
 نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية
 - البلاد العربية ٢٥ دولارا - أوروبا وآسيا
 وأفريقيا ٤٠ دولارا - أمريكا وكندا
 والهند ٤٥ دولارا - باقي دول العالم ٧٥
 دولارا.

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفي
 لأمر مؤسسة دارالهلال ويرسل لإدارة
 الاشتراكات بخطاب سجل كما يرجى
 عدم إرسال عملات نقدية بالبريد

رئيس مجلس الإدارة

حلمي النمنم

رئيس التحرير

عادل عبد الصمد

المستشار الفني

محمود الشيخ

مدير التحرير

أحمد شامخ

سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - الأردن ٢٢٥٠ فلس - الكويت ١,٢٥٠
 ثمن فلسا - السعودية ١٢ ريالاً - البحرين ١,٢ دينار - قطر ١٢ ريالاً - الإمارات
 النسخة ١٢ درهما - سلطنة عمان ١,٢ ريال - اليمن ٤٠٠ ريال - المغرب ٤٠ درهما -
 فلسطين ٢ دولار - سويسرا ٤ فرنكات - السودان ٣,٥ جنية

البريد الإلكتروني : darhilal @ idsc.gov.eg

رقم الإيداع

٢٠١١ / ١١٣٢٧

I.S.B.N

977-07-1491-7

اللغة في محراب القدس

شريك المقاومة وسجل الحقائق

محمد محمد داود

أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة قناة السويس
والخبير بمجمع اللغة العربية

دار الهلال

إِهْرَاءُ

إلى أرض الرباط

مسرى رسول الله

أولى القبلتين

وثالث الحرمين

إلى القدس

أَمْلاً فِي وَعْدِ النَّبِيِّ ﷺ بِالنَّصْرَةِ الْقَادِمَةِ: «لَا تَقُومُ
السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ
حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ وَرَاءَ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ
وَالشَّجَرُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلَفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا
الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ».

محمد داود

مُقَدِّمَةٌ

اللغة شاهد على الأحداث، وسجل للواقع، تفضح ما فيه من سوءات وكذب وتزوير، مثلما تُبرِّز ما فيه من إيجابيات وصمود ومقاومة وحقائق..

وكما نعرف الأشخاص على حقيقتهم إذا تكلموا، فإننا نعرف المجتمعات والأحداث والصراعات على حقيقتها من خلال اللغة، فاللغة مرآة المجتمع.

وفي القدس، نجد اللغة شريكاً في المقاومة ضد المعتدين عليها، وسجلاً حافلاً بالبطولات، صنع فيه الشعراء بكلماتهم ملحمة نضاليةً تواكبت مع الكفاح المسلح لتحرير القدس من المغتصبين؛ بدءاً من الحملات الصليبية الغاشمة إلى يومنا هذا.

إن تغيير الأسماء من العبرية الأصلية إلى العبرية شاهدٌ

حقّ على مسلسل التهويد والتزوير، بداية من «إسرائيل» بدلاً من «فلسطين»، و«أرض التوراة» بدلاً من «الأرض المقدسة»، و«حائط المبكى» بدلاً من «حائط البراق»، و«الهيكل» بدلاً من «المسجد الأقصى»، ومعاداة السامية باحتكار مصطلح «سامية» وتسييسه قهراً ليصبح مرادفاً لليهودية، وإعادة تسمية الأماكن تسمية تورانية بدلاً من تسميتها العربية، أو ترجمتها إلى العبرية، مثل: إطلاق «يهودا» على «الخليل» جنوب القدس، و«بنيامين» على منطقة القدس وشمالها، و«عير شكيم» على مدينة نابلس.

هذا من جانب التهويد، ومسح كل ما هو عربي على الأرض واللسان... بل تشويهه في الذهن من خلال مسلسل التهويد الثقافي، ومسح الحقائق التراثية والتاريخية وكل ما هو غير يهودي ليصب كل ذلك في يهودية الدولة.

ومن جانب آخر، تأتي اللغة في جانبها الشعري لُثْمَنَ المقاومة، وتشدّ على أيدي المقاومين، وتُعَلِّي من شأن البطولات الفدائية وكل ألوان التضحية، وتفضح كل تزوير

وزيف تقوم به قوى الاحتلال وأعوانهم... لقد كان الشَّعْرُ
أداةً من أدوات المقاومة عَبْرَ التاريخ، فكان سِجِلًا للأُمجاد
والبطولات أيام الانتصارات المجيدة، مثلما نرى في قصيدة
«في مدح محرر القدس» للشاعر عماد الدين الأصفهاني، التي
تُعَدُّ لَوْحَةً شعريَّةً لملحمة حطين العظيمة، والبطولات الرائعة
التي تجلَّتْ فيها، وصوله الحق والإيمان على الباطل والكفر.

ثم يعرض البحث لبضع قصائد من روائع شعر المقاومة
في العصر الحديث، فتأتي قصيدة «أخي جاوز الظالمون
المدى» للشاعر المصري علي محمود طه، التي كانت شعارًا
لقوى التحرير في جميع أرجاء الوطن العربي.

وتأتي قصيدة «أنا مع الإرهاب» للشاعر السوري نزار قباني،
صَرَخَةً شاعرٍ في وجه قُوى التزييف، تصحيحًا للمفاهيم،
ودحضًا للدعاية الصهيونية التي تُسمَّى المقاومة إرهابًا.

ومن شاعر الثورة الفلسطينية محمود درويش الذي رسم
بكلماته صورة مكتملة الأبعاد لملحمة المقاومة والثورة
الفلسطينية عبر تاريخها، عرض البحث قراءةً في قصيدة
«عاشق من فلسطين».

إلى قصيدة «طفل الحجارة» للشاعر السوداني محمد الفيتوري، التي جسّدت رُوح المقاومة والنضال في ذلك الطّفّل الذي هو رمز للثورة الدائمة في وجه القهر والطغيان.

وتأتي قصيدة «ماذا تبقى من بلاد الأنبياء»، وقصيدة «لأنك عشت في دِمْنًا» للشاعر المصري فاروق جويده، تجسيدًا لأحزان الأُمّة على ضياع القدس، ولكنها أيضًا دعوةً إلى مُواصلَةِ الكفاح والمقاومة إلى أن تتحرّر أرض الأنبياء.

وتأتي قصيدة «الأغنية الوصية» للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، وصيّة مُودّع، وهمسة إلى قلوب أبناء هذه الأُمّة، لمواصلة النضال حتى تتحرر القدس وأبناء فلسطين من وراء أسوار الاحتلال.

وهكذا تقف الكلمات في وجه الرصاص، تصنع تاريخًا من المقاومة وعدم الاستسلام لإبقاء الحياة في قضية الأُمّة: القدس، محور الصراع العربي الإسرائيلي.

وما تمّ عرّضه في هذا البحث المركز هو غِيْض من فيضٍ، وأمثلة قليلة ممّا فاضت به أقلام الكتّاب والشعراء. ولعلّ في

هذا بعض الوفاء، وإن كنت أشعر أنَّ الدَّيْنَ ثَقِيلٌ على كاهلنا،
ولعل الأجيال القادمة تستطيع أن تنقذ ما سقط من بين أيدينا..
والتاريخ شاهدٌ علينا، يشير إلَيَّ بكلِّ أصابعه فيعترف كُلِّي: إني
مُدَان.

أَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَكُونَ الْقَادِمُ أَفْضَلَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَان.

محمد محمد داود

أستاذ اللغويات ورئيس قسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة قناة السويس.
الثاني عشر من ربيع الأول ١٤٣٢ هـ.
السادس عشر من فبراير ٢٠١١ م.

القدس في اللغة

تدور كلمات مادة (ق د س) في العربية حول معاني الطُّهر والبركة والتزويه والتعظيم، وجاء في القرآن الكريم من كلمات هذه المادة (قُدُّوس - قُدُّس - القدس - نقْدَس - مُقْدَس):

* الفعل المضارع (نقْدَس)؛ بمعنى: التعظيم، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

* وجاء اسم المفعول (مُقْدَس)؛ بمعنى: (مطهَّر)، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنهَا تُودِي يَمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ٦]، ﴿يَنْقُورُوا ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

[المائدة: ٢١].

* وجاءت صيغة المبالغة (قُدُّوس) اسمًا من أسماء الله الحسنى بمعنى طاهر منزّه عمّا لا يليق بذاته سبحانه وتعالى، يقول تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣].

* وجاء المصدر (قُدُس) في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]، وروح القدس: ملكٌ الوحي جبريل العَلِيُّوَالْأَعْلَى.

* والاسم (الْقُدُس) يحمل من هذه المعاني دلالة الطُّهر والتطهير والبركة، فالله تعالى بارك هذه الأرض بأنواع من البركات المادية والمعنوية؛ بما أرسل إليها من الرسل، وبعث فيها من النبيين، وأنزل الكتب الهادية.

وآية الإسراء تؤكد معنى البركة حول المسجد الأقصى في القدس، قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

ويتأكد معنى الطُّهر والتطهير في قوله تعالى:
﴿يَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

[المائدة: ٢١].

وقد ورد التعبيران: «بيت المقدس» و«الأرض المقدسة»
في السُّنة النبويّة المطهّرة، من ذلك:

- عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «صَلَّيْنَا مَعَ
النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ سِتَّةَ عَشَرَ، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا
ثُمَّ صَرَفَهُ نَحْوَ الْقِبْلَةِ» (صحيح البخاري / ك: التفسير / ب:
سورة البقرة).

- قال النبي ﷺ: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا
جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ
الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ
عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ.
قَالَ: أَيُّ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ. قَالَ: فَلَا أَنْ، فَسَأَلَ

اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ^(١)» (صحيح البخاري / ك: الجنائز / ب: من أحب الدفن ليلاً في الأرض المقدسة).

* * *

أسماء القدس عبر التاريخ

أُطْلِقَتْ على مدينة القدس أسماء عديدة عبر تاريخها الحافل بالأحداث الكبيرة المهمّة، حتى قيل إنها تربو على أربعين اسمًا^(٢) أشهرها أربعة أسماء:

أوروسالم

هو أول اسم ثابت لمدينة القدس، كما تشير إلى ذلك بعض المصادر التاريخية، وهذا الاسم ليس عبريًا أصيلاً؛ فقد كانت تحمل هذا الاسم قبل دخول العبرية إليها بدليل وُروء هذا الاسم فيما يُسمّى بنصوص اللعنة (Execration) - التي كان يُلعَنُ فيها الشخص الذي يعمل شرًّا - والتي اكتشفت في مصر، وهي ترجع في الغالب إلى عهد سيزوستريس (سنوسرت الثالث) [١٨٧٩ - ١٨٤٢ ق.م].

واليبوسيون هم أول من سماها بذلك الاسم؛ حيث ظلت القدس لفترة طويلة تدعى به، وإذا نظرنا إلى الاسم الغربي (Jerusalem)، فإننا نجده تكررًا للاسم العربي الأصيل، وهو المستعمل حتى الآن في اللغات الأوروبية: الإنجليزية والفرنسية والألمانية واليونانية، فلو تتبعنا الاسم سنجد أنه يتكوّن من مقطعين أو قسمين (Jeru) و (saalem)؛ حيث إن الحرف «J» يقرب إلى «ياء» أو «ألف»، فتصبح كلمة (Jeru) يورو أو أورو، وكلمة (saalem) تبقى كما هي دون تغيير، ومثال آخر لمثل هذا التشابه اللفظي نجده في (Jericho)، وأصلها: «أريحا» أو «يرىحو»^(٣).

يبوس

وهو الاسم الثاني الذي ظهر في التاريخ لمدينة القدس، وقد ورد في التوراة في سفر القضاة، وفي سفر يوشع أن اليبوسيين بطن من الكنعانيين، وهم الذين بنوا في يبوس قلعتها التي سموها «قلعة صهيون»، وصهيون كلمة كنعانية تعني: «مرتفع»؛ ولذلك نجد أن هذا الاسم يطلق على أكثر من مرتفع في سوريا القديمة^(٤).

إيلياء

وهي مدينة بيت المقدس، وتكتب إيلياء، وقيل بأن إيل: اسم الله تعالى، معناه في العبرانية: القوي العزيز^(٥). وقيل معناه: بيت الله، وقد سمي بيت المقدس «إيلياء» نسبة إلى بانيها، وهو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَام^(٦).

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن تسمية إيلياء قدمت مع الرومان سنة ٦٣ ق.م؛ حيث قام أحد أباطرة الرومان وهو إيلوس هدریان بهدم بيت المقدس، وتأسيس مستعمرة رومانية باسم: «إيليا كابيتولينا» Aelia Capitolina؛ فأيليا اسم الإمبراطور، و«كابيتولينا» تعني: معبد «جوبيتر الكبير» والإمبراطور «هدريان» هو الذي منع اليهود من دخول القدس نهائياً في عهده في القرن الثاني للميلاد، ولم يترك يهودياً واحداً فيها، كما أقام معبداً لجوبيتر، وهو كبير آلهة الرومان، ثم أعاد إليها الإمبراطور «قسطنطين» اسم «أورشليم»^(٧)،^(٨)، ويبدو أن اسم إيلياء بقي متداولاً، وقد ذكره العرب في مراسلاتهم وأدبياتهم القديمة، كما أنه وُجِدَ في عهد الأمان الذي كتبه

عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الفتح الإسلامي للقدس، وبعد مجيء الإسلام كان هناك العديد من الأسماء التي تشير إلى مدينة القدس، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم، وفي الأحاديث النبوية الشريفة، وأشهر تلك الأسماء وأشملها:

بيت المقدس

أو الأرض المقدسة، وقد وردت هذه التسمية في قوله تعالى على لسان سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَقُومُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]. كما وردت هذه التسمية في كثير من الأحاديث الشريفة، نذكر منها على سبيل المثال ما روي عن البراء بن عازب قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا» [رواه مسلم].

وروي أيضًا عن النبي ﷺ قوله: «مَنْ أَتَى بَيْتَ الْمُقَدَّسِ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ، خَرَجَ مِنْ خَطِيئَتِهِ مِثْلَ يَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» [رواه أحمد].

وقد رافق اسم «القدس» المدينة منذ بدايتها، كما أن العهد القديم سماها: «مدينة القدس» و«جبل القدس» في سفر إشعياء، والمؤرخ اليوناني «هيرودت» (٤٨٤-٤٢٥ ق. م) لم يذكر في تاريخه المشهور اسم «أورشليم»، ولكنه ذكر مدينة كبيرة في الشام تسمى «قديس» مرتين في الجزء الثاني والثالث من تاريخه، ويقول المستشرق اليهودي الفرنسي «سالمون مونك» في كتابه «فلسطين»: إن هذا الاسم (القدس) هو على الأرجح مُحَرَّفٌ في اليونانية عن النطق الآرامي «قديشا»^(٩).

هذا، وقد أُطلق عليها في العصر الإسلامي «القدس» أو «بيت المقدس»، وقد أضاف إليه العثمانيون فيما بعد صفة ما زالت متداولة حتى يومنا هذا، ألا وهي «الشريف»، فقالوا: «القدس الشريف»^(١٠).

ومما لا شكَّ فيه أنَّ أسماء القدس تُبَيِّنُ لنا المكانة الدينيَّة والتاريخيَّة لمدينة القدس عبر العصور، والعناية الإلهيَّة بها، فهي مهد الأنبياء وموطن الرسالات السماوية، ومكان للتبرُّك، وله قدسية خاصة في أفئدة الناس منذ زمن بعيد.

ولعل أشهر تلك الأسماء هي تسمية «بيت المقدس»؛ وذلك لأنها أشمل وأكثر دلالة على القدسية والبركة، وهي تشمل: القدس ورام الله وأريحا وبيت لحم وقرى كل هذه المدن وضواحيها، وتقترن هذه التسمية عادة بأكناف بيت المقدس، وذلك كما جاء في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، وهي بهذا المعنى ترمز في الوعي الديني الإسلامي إلى عموم فلسطين، فهي أرض مقدسة، ومبارك كل ما حولها إلى يوم الدين^(١١).

* * *

القدس.. والتهويد اللغوي

التهويد هو عملية نزع الطابع الإسلامي والمسيحي عن القدس وفرض الطابع اليهودي عليها قهراً وجبراً بقوة السلاح وبكل سبيل، وتهويد القدس جزء من عملية تهويد فلسطين ككل، ابتداءً من تغيير اسمها إلى «إرتس إسرائيل»، مروراً بتزييف تاريخها، وانتهاءً بهدم القرى العربية وإقامة المستوطنات ودعوة اليهود للاستيطان في فلسطين!

شواهد لغوية على التهويد

إسرائيل: إسرائيل هو سيدنا يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويزعم اليهود أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ قد صارع الرب فصرعه وأسرّه فسمي لذلك إسرائيل! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذا نص ما ورد في سفر التكوين ٣١: «٢٤ فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَ عَهُ إِنْسَانٌ»

حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. ٢٥ وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخَذَهُ، فَانْخَلَعَ حُقٌّ فَخَذَ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. ٢٦ وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي؛ لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لَا أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». ٢٧ فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». ٢٨ فَقَالَ: «لَا يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ».

وإسرائيل عَلِمَ عِبْرِيٌّ مُكَوَّنٌ من جزأين: (إسر)، (إيل).
و(إيل) هو اسم الله ﷻ في اللغة العبرية، وأضيف إليه (إسر)
وهذه الكلمة في اللغات السامية - ومنها العربية والعبرية -
تعني: القوة والشدة، فيكون معنى إسرائيل: قُوَّةُ الله، أو القوي
بالله.

والحق أن هذا من باب المركب من كلمتين، أضيف
(الإسر) أو (الأسر) - وهو الشُّدَّة - إلى الله ﷻ كما في أسماء
الملائكة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل... إلخ.

فمعنى (جبرائيل): رجل الله، أي: عبد الله. فكلمة (جبر)

تعني: العبد، والملك، والرجل. وكل ما كان متتهياً بـ(إيل)
فهو مضاف إلى اسم الله ﷻ.

وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم ثلاثاً وأربعين
مرة، مضافة إلى كلمتي (بنو - بني) إحدى وأربعين مرة،
ومفردةً مرتين.

وهناك آية جمعت بين الكلمة مفردة ومضافة،
وهي قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا
حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۚ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ
فَأَتْلُوهَا ۚ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٩٣﴾ [آل عمران: ٩٣].

حقيقة مصطلح « السامية » لغوياً

يطلق مصطلح الساميّة لغوياً على مجموعة لغات تكوّن فرعاً لغوياً ضمن خمسة أفرع تكوّن في مجموعها أسرة لغوية كبيرة هي أسرة اللغات الأفروآسيوية، والمنطقة الجغرافية لهذه الأسرة شمال أفريقيا وشرقها، وفي جنوب غرب آسيا، وتحتوي هذه الأسرة على أكثر من ٢٠٠ لغة ولهجة.

اشتهر مصطلح السامية في نهاية القرن الثامن عشر لدى العلماء الأوربيين، وكان أول من استعمله العالم الألماني «سلوتزر» وزميله «أيكهورن»، وسبب هذه التسمية أن الشعوب التي تتكلم اللغات السامية هي - في الأعم الأغلب - ضمن ذرية «سام بن نوح» (وهو في العبرية شام Sham)، كما جاء في الفصل العاشر من سفر التكوين.

وكما يطلق مصطلح «السامية» على مجموعة اللغات التي تنتمي إلى الفرع السامي من فروع أسرة اللغات الأفروآسيوية، فإنه يطلق كذلك على مجموعة الشعوب التي تتحدث هذه اللغات، والشعب السامي الذي سكن فلسطين هم الكنعانيون، ويعود نسبهم إلى جدهم الأول كنعان.

وهذا المصطلح أريد به تزييف الحقائق، وسلب كل فضل للعرب، فالحقيقة أن هذه اللغات خرجت من جزيرة العرب على أيدي البدو الرُّحَّل من أجل الرعي والماء، وبدأت كلهجات فلغات، لكنها لا تنفصل عن العربية الأم، ومن باب الإنصاف أن نسميها «اللغات الجزرية» وشعوبها يسمّون بـ«الشعوب الجزرية».

عبري

يرى الفرنسي «إدواردو» أن كلمة «عبري» مشتقة من فعل شائع في كل اللغات السامية، ومنها العبرية والعربية، هو الفعل «عَبَرَ»؛ بمعنى: تخطَّى واجتاز.

والعبر - بكسر العين وسكون الباء - معناه: الجهة الأخرى من الوادي أو من الجدول الصغير أو النهر، وكانت تسمية «عبري» تطلق في حينها على كل من يهاجر من العراق عابراً نهر الفرات إلى الشام، وكان اليهود الأوّل كذلك^(١٢).

وجاء في سفر يشوع (٢٤ / ٢-٣):

«هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: أَبَاؤُكُمْ سَكَنُوا فِي عَبْرِ النَّهْرِ مُنْذُ الدَّهْرِ. تَارَحُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ وَأَبُو نَاحُورَ، وَعَبَدُوا آلِهَةً أُخْرَى. فَأَخَذْتُ إِبْرَاهِيمَ أَبَاكُمْ مِنْ عَبْرِ النَّهْرِ وَسَرْتُ بِهِ فِي كُلِّ أَرْضٍ كَنَعَانَ، وَأَكْثَرْتُ نَسْلَهُ وَأَعْطَيْتُهُ إِسْحَاقَ».

ونستنتج من هذا النص الموافق للدلالة اللغوية لكلمة «عبر» في اللغات السامية، أنه لم يكن للعبرانيين الإسرائيليين وجود، لا في أورشليم ولا في غيرها مما حولها من مدن في القرن ١٤ ق.م، وهذا على عكس ادّعاءات اليهود ومحاولتهم عبْرنة كل شيء في القدس، وعبْرنة تاريخها بكل أحداثه.

ولقوة الكنعانيين، لم يستطع العبرانيون الاستقرار في القدس وما حولها من مدن وسهول غنية، ولم يكن لهم وجود

إلا على التلال وأطراف البلاد والأماكن الفقيرة، حتى جاء منتصف القرن السابع عشر قبل الميلاد، وهاجر يعقوب - إسرائيل - وبنوه إلى مصر فرارًا من القحط في المناطق التي كانوا يقيمون بها، وبعد وفاة موسى الْعَلَيْهِ السَّلَامُ وخروج بني إسرائيل من مصر جاء يشوع بن نون وقادهم إلى نهر الأردن واستولوا على بعض أرض الكنعانيين، وفي فجر الألف الأولى قبل الميلاد وَحَدَّ سَيِّدُنَا دَاوُدَ الْعَلَيْهِ السَّلَامُ قبائل إسرائيل الاثنتي عشرة، وأَسَّسَ مَمْلَكَةَ إِسْرَائِيلَ.

* * *

التوظيف السياسي لمصطلح « السامية »

وادعاءات اليهود

هكذا اختزلت إسرائيل مصطلح السامية وجعلته مرادفًا لليهودية، فالسامية هي اليهودية، ومعاداة السامية هي نتاج أسطورة الهولوكوست وأفران الغاز التي يزعم اليهود أن الزعيم النازي «هتلر» قد نفذها وأباد خلالها أكثر من ستة ملايين شخص، وأصبحت هذه المحرقة كما لو كانت عقدة الذنب لدى الضمير الأوروبي نحو اليهود، ويكفي فحسب أن يُتهم المرء بمعاداة السامية حتى تنصب المشانق والمقاصل دون أي محاكمة، وأصبح هذا العنوان العريض هو النصل ورأس الحربة الموجهة لكل من يحاول فتح ملف المحرقة أو يكشف زيفهم أو تهويلهم وتضليلهم لأنفسهم وللعالم أجمع.

أنماط التسميات الصهيونية اليهودية

يذكر الباحث إبراهيم عبد الكريم في مقال له تحت عنوان «تهويد أسماء الأماكن الفلسطينية: الأيديولوجيا - التطبيقات - المواجهة» أن التسميات الصهيونية للمعالم الفلسطينية قد توزعت وفق عشرة أنماط رئيسة تنتمي إلى كلٍّ منها مئات الأسماء الموضوعة، ونكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة:

١ - أسماء ترجع إلى العهد القديم:

قسّمت المؤلفات اليهودية الدينية والتاريخية أرض فلسطين بالطريقة التي تحدث عنها العهد القديم في سفر يشوع، وحسب ذلك التقسيم جرت تسمية المناطق الفلسطينية على النحو التالي:

أسماء المناطق الفلسطينية	التسميات اليهودية
منطقتا حيفا وعكا، حتى الليطاني.	أشير
منطقتا طبرية وبيسان.	يساكر
منطقة رام الله.	أفرايم
منطقة القدس وشمالها.	بنيامين
منطقة جنوب القدس - الخليل.	يهودا

وفي الخرائط والأطالس وشتى الكتب الإسرائيلية، أطلق على العديد من أسماء الأماكن الجغرافية الفلسطينية أسماء وردت في «العهد القديم»، وفيما يلي بعض النماذج:

الأسماء العربية	التسميات اليهودية الإسرائيلية
مدينة القدس	عير يروشلايم
مدينة الخليل	عير حبرون
مدينة نابلس	عير شكيم
مدينة جنين	عير جنيم

٢- تسميات تلمودية:

أطلقت هذه التسميات على أماكن ورد ذكرها في التلمود، وكانت مستعملة في العهدين البيزنطي والروماني، ومنها على سبيل المثال:

- خربة المنارة (في الجليل الأسفل): خربة منوريم

- خربة المسكنة (في الجليل الأسفل): خربة مشكنة

- خربة اللجون (في مرج ابن عامر): خربة عوتناي

٣- أسماء وردت في التاريخ اليهودي:

لم يقف الأمر في تهويد الأماكن الفلسطينية بما ورد في العهد القديم أو التلمود عند هذا الحد، بل أُطلقت بعض التسميات اليهودية على أماكن فلسطينية؛ تخليدًا لأسماء شخصيات ورد ذكرها في الرواية التاريخية لليهود؛ فمثلاً:

* سُمِّيَ جبل «الشيخ مرزوق» جنوب غرب القدس: «هار

غورا» على اسم «شمعون بارغورا» أحد قادة التمرد اليهودي ضد الرومان.

* وسمي جبل «العريمة» في منطقة الخليل باسم «هار هكنائيم»؛ تخليدًا لذكرى المتعصبين اليهود الذين تمردوا ضد الرومان، وتحصنوا في قلعة متسادا أو مسادة.

٤- تسميات نسبة إلى حاخامات وأدباء يهود:

ومن أمثلة ذلك:

* تسمية «عين الحمرة» جنوب صفد باسم «عين همبيط»؛ تخليدًا لذكرى الحاخام موشي مطراني الذي قيل: إنه عاش في صفد في القرن السادس عشر.

* تسمية «عين التينة» في الجليل الأعلى باسم «عين يكيم»؛ تخليدًا لذكرى حارس الكهنة الذي كان مقيمًا في صفد.

* تسمية «عقبة أبو مدين» قرب حائط البراق باسم «عقبة الشاعر يهودا هليفي».

٥ - تسميات نسبة إلى رموز صهيونية ومحاربين صهاينة:

من الأمثلة على ذلك ما يلي:

* تسمية «جبل شرفة» غرب القدس باسم «هار هرتسل»، نسبة إلى «تيودور هرتزل» مؤسس الصهيونية الأولى.

* تسمية «عين عبدة» باسم «عين هليل»، نسبة إلى طبيب صهيوني من المهاجرين الأوائل.

* تسمية «جبل قليلة» جنوب مرج ابن عامر باسم «هار جيوريم»، نسبة إلى المحاربين الصهاينة الذين سقطوا هناك عام ١٩٤٨ م.

* تسمية «عين البيضاء» باسم «عين كوفشيم»، نسبة إلى الصهاينة الذين احتلوا قرية حانوتا العربية، وهجروا سكانها العرب أيام الانتداب البريطاني.

٦- تسميات محرّفة عن العربية:

قامت إسرائيل أيضًا بتحريف بعض الأسماء العربية، واستخدمت عوضًا عنها ألفاظًا عبرية، مع إبقاء بعض الحروف الأصلية في هذه الألفاظ، ومن أمثلة ذلك:

- جبل الرحمة (النقب الأوسط) هار رحاماه
- تل أبو هريرة (منطقة غزة) هارور
- تل سيحان (منطقة غزة) شيحان

٧- تسميات عربية مترجمة إلى العبرية:

أي الحفاظ على التسميات العربية للمعالم الفلسطينية، وترجمة معانيها إلى العبرية، ومن أمثلة ذلك:

- جبل جرادة (النقب) هار جوفاي (جرادة)
- جبل رجم الضبعة (النقب) هار تسافواع (ضبعة)
- تل القنيطرة (منطقة غزة) تل كيشث (قنطرة)

٨- تسميات عبرية حسب طبيعة المكان:

أي إطلاق ألفاظ عبرية تدل على واقع الأماكن وأبرز سماتها الخاصة، ومن الأمثلة على ذلك:

* منطقة السهول المتاخمة من جهة الغرب لجبال الخليل، سميت «هشفيلا»؛ أي: (المنخفضة).

* «عين أم عامر» منطقة الحولة، سميت «عين أجمون»، وهو اسم نبات موجود في المنطقة.

٩- تسميات لزعماء إسرائيليين أو أجانب:

ارتبط هذا النوع من التسميات بموت زعماء إسرائيليين أو أصدقاء لإسرائيل، ومن أمثلة ذلك:

* أطلق اسم الوزير «موشي حاييم شابير» على «تل المشارف» في القدس.

* وأطلق اسم شارع «مردخاي غور» على منطقة مجاورة لباب الأسباط.

* كما سميت مستوطنات وغابات وشوارع ومواقع مختلفة على هذا النحو، ومن الشخصيات التي استخدمت أسماءها: وايزمن - بن غوريون - أشكول - بلفور - ترومان... إلخ^(١٣).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الغالبية العظمى لأسماء الأماكن التي تزعم المصادر اليهودية أنها عبرية، هي أسماء كنعانية انتحلتها إسرائيل، كما حدث في كثير من الأسماء السابقة وغيرها؛ مثل: «يردن» الأردن، «عكو» عكا، «يافو» يافا... إلخ.

وخلاصة القول: إن تهويد أسماء الأماكن والمعالم الفلسطينية هو فرض للهيمنة الصهيونية، ويعد امتداداً للبعد الثقافي للصراع العربي الإسرائيلي، وهو الصراع على هوية الأرض التي تريد إسرائيل السيطرة عليها عن طريق طمس أي أثر يدل على عروبة الأرض الفلسطينية؛ سعيًا إلى فرض سياسة الأمر الواقع على الأجيال العربية القادمة، بل وعلى العالم أجمع.

التهويد اللغوي والثقافي في الدراسات اليهودية:

لقد أصبح لمشكلة إطلاق أسماء مختلفة على ذات الأرض، والصراع القائم حول هذه الادّعاءات المختلفة في الماضي والحاضر - أهمية كبرى في الدراسات الإسرائيلية المعاصرة؛ فقد كان لكتاب يوحنا أهاروني: [الأرض والتوراة: جغرافيا تاريخية (١٩٦٢م)] تأثير بالغ في توجيه هذا الفرع من المعرفة، ففي الكتاب بأكمله يستعمل تعبير «أرض التوراة» بشكل مترادف مع تعبير «الأرض المقدسة» وفلسطين، وللوهلة الأولى لا تبدو هذه التعريفات خلافية أو متعمدة، إلا أن العنوان العبري للكتاب «أرض إسرائيل في العصر التوراتي» يوحي بأن تعبير فلسطين هو مجرد اختزال، فهو تعبير حدد أساسًا بناء على تعريف إسرائيل له، وعلى الفهم التوراتي للماضي. أما الجزء الثاني من الكتاب وعنوانه «فلسطين عبر العصور»، فيحتوي على فصل منفصل حول الفترة «الكنعانية» متبوع بعدة فصول تعالج موضوع التاريخ «الإسرائيلي» و«اليهودي».

لقد جردت الدراسات التوراتية لفظ «فلسطين» من أي معنى كامن فيه، ولم يعد من الممكن فهمه إلا إذا أعيد تعريفه من خلال لفظ ديني أو لاهوتي آخر، كاللفظ المستعمل للدلالة على «الأرض المقدسة» أو «أرض إسرائيل».

لكن ما يلفت النظر أكثر من ذلك هو أنه في حين أن لفظ «فلسطين» قد يكون مستعملاً بشكل واسع، على الرغم من تجريده من أي معنى لذاته، فإن استعمال لفظ «فلسطينيون» باعتبارهم سكان هذه الأرض هو استعمال نادر للغاية في الدراسات التوراتية^(١٤).

ومؤخرًا ضم «نتياهو» مغارة المكفילה (الحرم الإبراهيمي) وقبر راحيل إلى قائمة المواقع التراثية اليهودية، وفي ذلك يقول البروفيسور «يوسى بن أرتسي»: «إن تعامل الحكومة مع مصطلح تراث في دولة كثيرة الأجناس والأديان مثل إسرائيل يعبر عن ضيق الأفق والبعد الواحد، فتراث أرض إسرائيل ليس اليهودية والصهيونية فحسب، وإنما مواقع مسيحية أيضًا وما شابه ذلك»^(١٥).

والملاحظ أن كثيرًا من المصطلحات المستخدمة في علم التاريخ التوراتي توحى بالتحيز، مثل مصطلح «السيبي»، و«تامنفي»، فهي مصطلحات توحى بملكية المكان أكثر مما توحى بالوجود العارض لهذه الجماعات في المنطقة^(١٦).

* * *

الشعر في محراب القدس

لقد تغنى كثيرٌ من الشعراء بالقدس، ومجدّوا تاريخها،
وطافوا بنا في مغانيتها وطرقاتها ومقدساتها، ودافعوا عنها
بالكلمة في أيام محنتها، منذ الحملات الصليبية التي كانت
القدس غايتها، ومجدّوا انتصارات المسلمين وانتصار القدس
على أعدائها، ومدّحوا الأبطال الذين بذلوا دماءهم وأرواحهم
في سبيل القدس.

* * *

أمجاد حطين وتحرير القدس

من القصائد الرائعة التي تَغَنَّتْ بتحرير القدس ومدح أبطالها قصيدة الشاعر عماد الدين الأصفهاني «في مدح مُحرِّرِ القدس»: البطل صلاح الدين الأيوبي، وأبطال معركة حِطِّين المجيدة، وفي هذه القصيدة يرسم الشاعر صورة لروح البطولة العربية والإسلامية في مواجهة حملة من أعتى الحملات الصليبية، لا بل إن الشاعر يضع نفسه موضع القائد العسكري الذي يخطط للمعارك ويشارك في رسم خريطة الحرب.

يبدأ الأصفهاني قصيدته بمقدمة غزلية تقليدية، ولكنها تصف حينه إلي ربوع الشام والقدس خاصةً، وشوقه الجارف إلى تلك الديار وأهلها:

اسْتَوْحَشَ الْقَلْبُ مُذْ غَبِثْتُ فَمَا أَنَسَا
وَأُظْلِمَ الْيَوْمُ مُذْ بَنَيْتُمْ فَمَا شَمُسَا
مَا طَبْتُ نَفْسًا وَلَا اسْتَحْسَنْتُ بَعْدَكُمْ
شَيْئًا نَفِيسًا وَلَا اسْتَعَذَبْتُ لِي نَفْسًا

إنَّه ليس غزلاً بالمعنى المعروف، ولكنه نوع من طَرَحِ
العاطفة والمشاعر على الأحوال القائمة، التي توحش القلب
وتجعل الحياة مظلمة والنفوس كئيبةً، وهل ثَمَّة ما يبعث على
ذلك أكثر من ضياع أقدس المقدَّسات، أولى القبلتين وثالث
الحرمين؟! وهل هناك أسَى يبلغ ما يبلغه وقوع تلك المدينة
الحبيبة في أسرِ قوة غاشمةٍ تريد مَحْوَ هَوِيَّتِها وطمس معالمها
وسرقة تاريخها وتراثها الإنساني العظيم.

ثم ينتقل بنا الشاعر إلى مدح بطل حطين العظيم «صلاح
الدين الأيوبي»:

قُلْ لِلْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ أَكْرَمَ مَنْ
 يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ أَوْ مَنْ يَرْكَبُ الْفَرَسَا
 مَنْ بَعْدَ فَتْحِكَ بَيْتِ الْقُدُسِ لَيْسَ سِوَى
 صُورٍ فَإِنْ فَتِحَتْ فَأَقْصِدْ طَرَابُلُسَا
 ويمضي على خريطة الشَّام يرسم للقائد البطل خريطة
 المعارك القادمة التي يأمل أبناءُ الأُمَّة أن يخوضوها لتحرير
 بلادهم من القدس إلى صور إلى طرسوس إلى أنطاكية:
 أَثَرٌ عَلَى يَوْمٍ أَنْطَرُسُوسَ ذَا لَجَبٍ
 وَابْعَثْ إِلَى لَيْلٍ أَنْطَاكِيَّةَ الْعَسَسَا
 وَأَخْلِ سَاحِلَ هَذَا الشَّامِ أَجْمَعَهُ
 مِنَ الْعُدَاةِ وَمَنْ فِي دِينِهِ وَكِسَا
 مُعَبِّرًا عن المرارة التي تركها الاحتلال الصليبي للقدس
 وبلاد الشام:

وَلَا تَدْعُ مِنْهُمْ نَفْسًا وَلَا نَفْسًا

فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ النَّفْسَ وَالنَّفْسَا

إنها قضية عادلة وليست حربَ عدوان، بل دِفَاعٌ عن المقدسات، ومواجهة للشرِّ المتمثِّل في مَنْ «يأخذون النَّفْسَ والنَّفْسَ»، فلا غَرَوْ أن يكون العقابُ من جنس الذنب!.

إِنَّهُ الصَّرَاعُ بَيْنَ قَوَى الْكُفْرِ الطَّاغِيَةِ الْمُعْتَدِيَةِ وَقَوَى الْإِيمَانِ الْمُقَاوِمَةِ الْبَاسِلَةِ الْمُدَافِعَةِ عَنْ مَقْدِسَاتِهَا وَحَيَاةِ أُنْبِيَائِهَا:

نَزَلَتْ بِالْقُدْسِ فَاسْتَفْتَحَهُ ثُمَّ مَتَى

تَقْصِدُ طَرَابُلُسًا فَاَنْزَلَ عَلَى قُدْسَا

ويصف الشاعرُ معركةَ حطينَ وصولاً إلى الإيمانِ على الكفر:

يَا يَوْمَ حَاطِينَ وَالْأَبْطَالَ عَابِسَةً

وَبِالْعَجَاجَةِ وَجْهَ الشَّمْسِ قَدْ عَبَسَا

رَأَيْتُ فِيهِ عَظِيمَ الْكُفْرِ مُحْتَقِرًا

مُعَفَّرًا خَذَهُ وَالْأَنْفُ قَدْ تَعَسَا

هكذا صَوَّرَ الأصفهانيُّ الجوّ النَّفْسي الذي خَيَّمَ على
نفوس أبناء الأمة أثناء الاحتلال الصليبي للقدس، ثُمَّ ما حَلَّ
مكانَ هذه الأحرارِ من فرح بعودة القدس وتحرير المقدسات
بالدماء الطاهرة والكلمات الصادقة المخلصة في تلك
القصيدة:

فِي مَدَحِ مُحَرَّرِ الْقُدُسِ

عماد الدين الأصفهاني

اسْتَوْحَشَ الْقَلْبُ مُذْ غَبِثْتُمْ فَمَا أَنْسَا
وَأُظْلِمَ الْيَوْمُ مُذْ بَنَيْتُمْ فَمَا شَمُسَا
مَا طَبْتُ نَفْسًا وَلَا اسْتَحْسَنْتُ بَعْدَكُمْ
شَيْئًا نَفِيسًا وَلَا اسْتَعَذَبْتُ لِي نَفْسًا
قَلْبِي وَصَبْرِي وَغَمْضِي وَالشَّبَابُ وَمَا
أَلِفْتُمْ مِنْ نَشَاطِي كُلِّهِ خِلَسَا
وَكَيْفَ يُصْبِحُ أَوْ يُمَسِي مُحِبُّكُمْ
وَشَوْقُكُمْ يَتَوَلَّاهُ صَبَاحَ مَسَا

عَادَتْ مَعَاهِدُكُمْ بِالْجِزْعِ دَرِاسَةً
وَإِنَّ مَعْهَدَكُمْ فِي الْقَلْبِ مَا دَرَسَا
وَكُنْتُ أَحَدِسُ مِنْكُمْ كُلَّ ذَاهِيَةٍ
وَمَا دَهَانَا مِنَ الْهَجْرَانِ مَا حُدِسَا
لَمَّا هَدَتْ نَارُ شَوْقِي ضَيْفَ طَيْفِكُمْ
قَرَيْتُهُ بِالْكَرَى إِذْ زَارَ مُقْتَبِسَا
وَرُمْتُ تَأْنِيسَهُ حَتَّى وَهَبْتُ لَهُ
إِنْسَانَ عَيْنِي أَفْدِيَهُ فَمَا أَنْسَا
أَنَا الْخَيَالَ نُحُولًا فَالْخَيَالَ إِذَا
مَا زَارَنِي كَيْفَ يَلْقَى مَنْ بِهِ التَّبَسَا
لَهْفِي عَلَى زَمَنِ قَضَيْتُهُ طَرِبَا
إِذْ لَمْ أَكُنْ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ مُحْتَرِسَا

عَسَى يَعُودُ شَبَابِي نَاضِرًا وَمَتَى
 أَرْجُو نَضَارَةَ عُودِ لِلشَّبَابِ عَسَى؟
 وَشَادِنٍ يَفْرِسُ الْأَسَادَ نَاطِرُهُ
 فَدَيْتُهُ شَادِنًا لِلْأُسْدِ مُفْتَرِسًا!
 فِي الْعِطْفِ لَيْنٌ وَفِي أَخْلَاقِهِ شَوْسٌ
 يَا لَيْنَ عِطْفِيهِ جَنَّبَ خُلُقَهُ الشَّوَسَا
 إِنَّ بَانَ لَبَسُ مَضِينًا لَاجِنِينَ إِلَى الْ
 فَتَى الْحُسَامِ ابْنِ لَاجِنٍ بَنَابِلَسَا
 يُمِيتُ أَعْدَاءَهُ بَأْسًا وَنَائِلُهُ
 يُحْيِي رَجَاءَ الَّذِي مِنْ نَجْمِهِ أَيْسَا
 مُمَزَّقِ الْمَازِقِ الْمُنْسُوجِ عَثِيرُهُ
 وَقَدْ مَحَا الْيَوْمُ لَيْلَ النَّقْعِ فَانْطَمَسَا

لَا زِلْتَ مُسْتَوِيًّا فَوْقَ الْحِصَانِ وَفِي
 حِصْنِ الْحِفَاطِ وَمَنْ عَادَاكَ مُنْتَكِسًا
 قُلْ لِلْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ أَكْرَمِ مَنْ
 يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ أَوْ مَنْ يَرْكَبُ الْفَرَسَا
 مِنْ بَعْدِ فَتْحِكَ بَيْتِ الْقُدْسِ لَيْسَ سِوَى
 صُورٍ فَإِنْ فُتِحَتْ فَاقْصِدْ طَرَابُلسَا
 أَثَرٌ عَلَى يَوْمِ أَنْطَرُسُوسَ ذَا لَجَبٍ
 وَابْعَثْ إِلَى لَيْلِ أَنْطَاكِيَّةِ الْعَسَسَا
 وَأَخْلِ سَاحِلَ هَذَا الشَّامِ أَجْمَعَهُ
 مِنْ الْعُدَاةِ وَمَنْ فِي دِينِهِ وَكِسَا
 وَلَا تَدْعُ مِنْهُمْ نَفْسًا وَلَا نَفْسًا
 فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ النَّفْسَ وَالنَّفْسَا

نَزَلَتْ بِالْقُدْسِ فَاسْتَفْتَحَهُ ثُمَّ مَتَى
تَقْصِدُ طَرَابُلُسًا فَاَنْزِلْ عَلَى قُدْسَا
يَا يَوْمَ حَاطِينَ وَالْأَبْطَالُ عَابِسَةٌ
وَبِالْعَجَاجَةِ وَجْهُ الشَّمْسِ قَدْ عَبَسَا
رَأَيْتُ فِيهِ عَظِيمَ الْكُفْرِ مُحْتَقَرًا
مُعَفَّرًا خَذُّهُ وَالْأَنْفُ قَدْ تَعَسَا
يَا طَهَرَ سَيْفٍ بَرَى رَأْسَ الْبِرْنِ فَقَدْ
أَصَابَ أَعْظَمَ مَنْ بِالشَّرِّ قَدْ نَجَسَا
وَعَاصَ إِذْ طَارَ ذَاكَ الرَّأْسُ فِي دَمِهِ
كَأَنَّهُ ضِفْدَعُ فِي الْمَاءِ قَدْ غَطَسَا
مَا زَالَ يَعْطِسُ مَزْكُومًا بِغَدْرَتِهِ
وَالْقَتْلُ تَشْمِيتُ مَنْ بِالْغَدْرِ قَدْ عَطَسَا

عُرِيَ ظَبَاهُ مِنْ الْأَعْمَادِ مُهْرَقَةً
 أَدَمًا مِنَ الشَّرِّكَ رَدَّاهَا بِهِ وَكَسَا
 مَنْ سَيْفُهُ فِي دِمَاءِ الْقَوْمِ مُنْغَمِسٌ
 مِنْ كُلِّ مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي الْكُفْرِ مُنْغَمَسًا
 أَفْنَاهُمْ قَتَلُهُمْ وَالْأَسْرُ فَاثْتَكُسُوا
 وَبَيْتُ كُفْرِهِمْ مِنْ خُبَّتِهِمْ كُنْسَا

نشيد الجهاد

وفي العصر الحديث، كان احتلال اليهود للأرض المقدسة
مأساةً زلزلت كيان الأمة، وأثّرت في نفوس أبنائها، وكان
الشعر صوت الأمة الغاضب والحزين والثائر والداعي إلى
تحرير القدس، وقد تغنّى أبناء هذه الأمة بنشيد: «أخي جاوز
الظالمون المدى» للشاعر المصري علي محمود طه منذ
أربعينيات القرن العشرين، وما زال هذا النشيد تتردّد أصداؤه
في أنحاء الوطن العربي، على حناجر الأطفال والكبار، وقد
أُتيح لهذا النشيد أن يكون بحقّ صوت ضمير الأمة الحزين
على القدس المحتلة، خاصّةً وقد وضع لحنه الموسيقار
الكبير محمد عبد الوهاب، فجاء صرخة تبعث الحماس في
النفوس، وتدعو إلى الجهاد والفداء:

أَخِي جَاوَزَ الظَّالِمُونَ الْمَدَى
فَحَقَّ الْجِهَادُ وَحَقَّ الْفِدَا
أَنْتَرَكُهُمْ يَعْصِبُونَ الْعُرُوبَ
لَهُ مَجْدَ الْأُبُوَّةِ وَالشُّؤْدَدَا؟

إِذْ كَانَ الْمَغْتَصِبُ قَدْ تَسَلَّحَ بِالْقُوَّةِ، فَلَا مَجَالَ لِرُدْعِهِ
وَاسْتِعَادَةِ الْحَقِّ السَّلِيبِ إِلَّا بِالْقُوَّةِ:

وَلَيْسُوا بِغَيْرِ صَالِلِ السُّيُوفِ
يُجِيبُونَ صَوْتًا لَنَا أَوْ صَدَ
فَجَرَّدُ حُسَامِكَ مِنْ غَمْدِهِ
فَلَيْسَ لَهُ بَعْدُ أَنْ يُغَمَّدَا

ثم يستصرخ الشاعر روح العروبة التي تأبى الخزي والعار،
داعياً إلى الجهاد لاستعادة الأرض المقدسة، والدفاع عن
العرض العربي المنتهك:

أَخِي أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ الْأَبِيُّ
أَرَى الْيَوْمَ مَوْعِدَنَا لَا الْغَدَا
أَخِي أَقْبَلَ الشَّرْقُ فِي أُمَّةٍ
تَرُدُّ الضَّلَالَةَ وَتُحْيِي الْهُدَى
أَخِي إِنَّ فِي الْقُدُسِ أُخْتًا لَنَا
أَعَدَّ لَهَا الذَّابِحُونَ الْمُدَى

فماذا بعد أن أُعِدَّتِ الْمُدَى لَذَبْحِ نِسَائِكُمْ وبناتكم؟! لم
يَبْقَ إِذَا إِلَّا الْمَوْتَ:

فِلَسْطِينُ يَفْدِي حِمَاكَ الشَّبَابُ
وَجَلَّ الْفِدَائِيُّ وَالْمُفْتَدَى
فِلَسْطِينُ تَحْمِيكَ مِنَّا الصُّدُورُ
فَأَمَّا الْحَيَاةُ وَإِمَّا الرَّدَى!

وذلك هو نشيد:

أَخِي جَاوَزَ الظَّالِمُونَ الْمَدَى

علي محمود طه

أَخِي جَاوَزَ الظَّالِمُونَ الْمَدَى
فَحَقَّ الْجِهَادُ وَحَقَّ الْفِدَا
أَنْتَرَكُهُمْ يَغْصِبُونَ الْعُرُوبَ
هَـ مَجْدَ الْأُبُوَّةِ وَالسُّودَدَا؟
وَلَيْسُوا بِغَيْرِ صَالِلِ الشُّيُوفِ
يُجِيبُونَ صَوْتًا لَنَا أَوْ صَدَى
فَجَرَّدَ حُسَامَكَ مِنْ غَمْدِهِ
فَلَيْسَ لَهُ بَعْدُ أَنْ يُغْمَدَا

أَخِي أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ الْأَبِيُّ
أَرَى الْيَوْمَ مَوْعِدَنَا لَا الْغَدَا
أَخِي أَقْبَلَ الشَّرْقُ فِي أُمَّةٍ
تَرُدُّ الضَّلَالُ وَتُحْيِي الْهُدَى
أَخِي إِنَّ فِي الْقُدْسِ أُخْتًا لَنَا
أَعَدَّ لَهَا الذَّابِحُونَ الْمُدَى
صَبَرْنَا عَلَى غَدْرِهِمْ قَادِرِينَ
وَكُنَّا لَهُمْ قَدْرًا مُرْصَدًا

طَلَعْنَا عَلَيْهِمْ طُلُوعَ الْمُنُونِ
فَطَارُوا هَبَاءً وَصَارُوا سُدى
أَخِي قُمْ إِلَى قِبْلَةِ الْمَشْرِقَيْنِ
لِنَحْمِيَ الْكَنِيسَةَ وَالْمَسْجِدَا

أَخِي قُمْ إِلَيْهَا نَشُقُّ الْغِمَارَ
دَمًا قَانِيًا وَلَظَى مُرْعِدًا
أَخِي ظَمِئْتُ لِلْقِتَالِ الشُّيُوفُ
فَأُورِدُ شَبَاهَا الدَّمَ الْمُصْعَدَا
أَخِي إِنْ جَرَى فِي ثَرَاهَا دَمِي
وَشَبَّ الضَّرَامُ بِهَا مُوقِدَا
فَفَتَّشْ عَلَى مُهْجَةٍ حُرَّةٍ
أَبْتُ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهَا الْعِدَا

وَحُذْ رَايَةَ الْحَقِّ مِنْ قَبْضَةٍ
جَلَاهَا الْوَعَى وَنَمَاهَا النَّدَى
وَقَبِّلْ شَهِيدًا عَلَى أَرْضِهَا
دَعَا بِاسْمِهَا اللَّهَ وَاسْتَشْهَدَا

فِلَسْطِينُ يَفْدِي حِمَاكَ الشَّبَابُ
وَجَلَّ الْفِدَائِيُّ وَالْمُفْتَدَى
فِلَسْطِينُ تَحْمِيكَ مِنَّا الصُّدُورُ
فَأَمَّا الْحَيَاةُ وَإِمَّا الرَّدَى!

شعر المقاومة وتصحيح المفاهيم

لقد تكوّن لدى الشاعر العربيّ إحساسٌ عميقٌ تجاه القدس باعتبارها جوهرَ الصّراع العربيّ الإسرائيليّ، ولم يقتصر هذا الوعي الشّعريُّ على الكلمات الرنّانة، أو كلمات الإدانة للعدوّ، بل تجاوز ذلك إلى قلب المفاهيم الإسرائيلية التي تدعو المقاومة إرهاباً، وسارت في ركابها بعض وسائل الإعلام المغيّبة عن الواقع السياسي للأُمّة، فكان على الخطاب الشعريّ أن يستوعب كل ذلك في آنٍ واحد: الدعوة إلى المقاومة، وتصحيح المفاهيم المغلوطة، وبث الوعي السياسي في نفوس أبناء الأُمّة، والثورة على الحكام الفاسدين.

كل هذا وغيره نراه في كثير من النصوص الشعرية الحديثة، ومن أبرزها قصيدة «أنا مع الإرهاب» للشاعر السوري نزار قباني.

بهذا العنوان الصّادِمِ يلفتنا الشاعر بقوةٍ إلى ضرورة عدم
الخضوع للدعاية الإسرائيلية والإعلام المساند لها حين
تُسمّى المقاومة إرهاباً، وكأنّ الشاعر يقوم هنا بدور المفاوض
السياسي حين يقلب المائدة على خصمه، فيبدأ بنسف دعواه،
ودحض التهمة الموجهة ضد كل عربي شريف ما زالت روح
المقاومة والصمود تسري في دمائه:

مُتَّهَمُونَ نَحْنُ بِالْإِرْهَابِ

ولكن أي إرهاب ذلك الذي نتحدث عنه إسرائيل وأذناؤها؟
يجيب الشاعر:

إِنْ نَحْنُ دَافِعُونَ عَنِ الْوَرْدَةِ وَالْمَرْأَةِ

وَالْقَصِيدَةِ الْعِصْمَاءِ

وَزُرْقَةِ السَّمَاءِ

عَنْ وَطَنِ لَمْ يَبْقَ فِي أَرْجَائِهِ

مَاءٌ وَلَا هَوَاءٌ

أي: وطن سُلِبَ منه كلُّ شيء: الجمال والعِرض والكرامة
والتاريخ والحرية والماء والهواء! فصار بقايا وطنٍ مفككٍ
ممزقٍ متناثر الأشلاء:

مُتَّهَمُونَ نَحْنُ بِالْإِرْهَابِ
إِذَا كَتَبْنَا عَنْ بَقَايَا وَطَنِ
مُخْلَعٍ مُفَكِّكٍ مُهْتَرِئٍ
أَشْلَؤُهُ تَنَاثَرَتْ أَشْلَاءُ

وهنا يرُدُّ الشاعر التهمة إلى الخصم، فهذا هو جوهر
الإرهاب.. ثم ينتقل بنا الشاعر إلى الواقع العربي، الذي غيبته
المقولات الجوفاء، مبيِّناً أن هذا الغياب لروح الوطن هو بعينه
غياب المقاومة الذي يعني غياب الهوية والذوبان في الآخر:

عَنْ وَطَنِ
يُشْبِهُ حَالَ الشَّعْرِ فِي بِلَادِنَا
فَهُوَ كَلَامٌ سَائِبٌ.. مَرْتَجِلٌ.. مُسْتَوَرَدٌ
وَأَعْجَمِيّ الْوَجْهِ وَاللِّسَانِ

وكانهُ يُدَكِّرُنَا بمسير المتنبى في شَعْبِ بَوَّانَ، ذلك الوادي
الرائع حتى إنه يشبه بلاد الجن:
منازلُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فيها

سُلَيْمَانُ لَسَارَ بترجمان!
ولكن هذا الوطن الجميل قد تسلط عليه الروم فصار أهله
غرباء على أرضهم:
ولكنَّ الفتى العربيَّ فيها

غريبُ الوجهِ واليدِ واللسانِ

وهكذا صار أهل فلسطين غرباء فيها، وصارت
مآذن القدس تحت رحمة دبابات إسرائيل. ثم يستصرخ
الشاعر ما بقي في الأمة من كرامة ونخوة، ولهذا
جاءت كلماته قاسية بقدر قسوة ومرارة الواقع العربي وما يُظِلُّه
من عجز وهوان:

لَمْ يَبْقَ فِي أُمَّتِنَا مُعَاوِيَةُ

ولا أبو سفيان
لَمْ يَبْقَ مَنْ يَقُولُ (لا)
فِي وَجْهِ مَنْ تَنَازَلُوا
عَنْ يَتِينَا وَخُبْرِنَا وَزَيْتِنَا
وَحَوْلُوا تَارِيخَنَا الزَّاهِي
إِلَى دُكَانٍ!!

ويصرخ الشاعر منادياً أبطال الأمة مُقَلِّباً عنهم في صفحات
التاريخ:

مَاذَا مِنَ الْإِنْسَانِ يَبْقَى
حِينَ يَعْتَادُ عَلَى الْهَوَانِ؟
أُبْحَثُ فِي دَفَاتِرِ التَّارِيخِ
عَنْ أَسَامَةِ بْنِ مُنْقِذٍ
وَعُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ
عَنْ عُمَرَ عَنْ حَمْرَةَ

عَنْ خَالِدٍ يَزْحَفُ نَحْوَ الشَّامِ

ولكن كل هذه الرموز العظيمة قد غابت اليوم في ظل
الاحتلال الصهيوني ومن ورائه أمريكا:

مُتَّهَمُونَ نَحْنُ بِالْإِرْهَابِ

إِذَا رَفَضْنَا زَمَنًا

صَارَتْ بِهِ أَمِيرُكَ

المغرورة الغنيّة القويّة

مُتَرَجِّمًا مُحَلِّفًا

لِللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ

والقصيدة أشبه بفيض من الرموز ذات الدلالة الدينية
المقدسة: من القدس ومآذنها وقبابها، إلى الخليل والناصرة،
وسورة الفتح وخطبة الجمعة، والمسيح ومريم العذراء، ثم
يختم الشاعر قصيدته بملخصٍ للقضية المحورية: المقاومة،
وتتكرر جملة «أنا مع الإرهاب» ثلاث مرات في نهاية القصيدة،
وكأنّها بمثابة صرخة الذبيح تحت سكين الجلاد.

أنا مع الإرهاب!!

نزار قباني

مُتَّهَمُونَ نَحْنُ بِالْإِرْهَابِ

إِنْ نَحْنُ دَافَعْنَا عَنِ الْوَرْدَةِ وَالْمَرَاةِ

وَالْقَصِيدَةِ الْعِصْمَاءِ

وَزُرْقَةِ السَّمَاءِ

عَنْ وَطَنِ لَمْ يَبْقَ فِي أَرْجَائِهِ

مَاءٌ وَلَا هَوَاءٌ!

مُتَّهَمُونَ نَحْنُ بِالْإِرْهَابِ

إذا كتبنا عن بقايا وطنٍ

مُخَلَّعٍ مُفَكِّكٍ مُهْتَرِئٍ

أشلاؤه تناثرتُ أشلاءُ

عن وَطَنٍ يَبْحَثُ عن عنوانه

وأُمَّةٍ لَيْسَ لها أسماءُ! عن وطنٍ لم يبقَ من أشعاره

العظيمةِ الأولى

سوى قصائدِ الخنساء!!

عَنْ وَطَنٍ

يُشْبِهُ حَالَ الشَّعْرِ فِي بِلَادِنَا

فهو كلامٌ سائبٌ.. مرتجلٌ.. مستوردٌ

وأعجميُّ الوجهِ واللسانِ

عَنْ وَطَنٍ

يمشي إلى مُفاوضاتِ السِّلْمِ

دُونَمَا كَرَامَةٍ

ودونما حذاءً!!

لَمْ يَبْقَ فِي أُمْتِنَا مُعَاوِيَةُ

ولا أبو سفيانُ

لَمْ يَبْقَ مَنْ يَقُولُ (لا)

فِي وَجْهِ مَنْ تَنَازَلُوا

عَنْ يَتِينَا وَخُبْرِنَا وَزَيْتِنَا

وَحَوَّلُوا تَارِيخَنَا الزَّاهِي

إِلَى دُكَّانٍ!!

مَاذَا مِنَ الْإِنْسَانِ يَبْقَى

حِينَ يَعْتَادُ عَلَى الْهَوَانِ؟؟

أُبَحِّثُ فِي دَفَاتِرِ التَّارِيخِ
عَنْ أُسَامَةَ بْنِ مُنْقِذٍ
وَعُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ
عَنْ عُمَرَ عَنْ حَمْزَةَ
عَنْ خَالِدٍ يَرْحَفُ نَحْوَ الشَّامِ
هَلِ الْعَمَى الْقَوْمِيُّ قَدْ أَصَابَنَا؟
أَمْ نَحْنُ نَشْكُو مِنْ عَمَى الْأَلْوَانِ؟
مُتَّهَمُونَ نَحْنُ بِالْإِرْهَابِ
إِذَا رَفَضْنَا مَوْتَنَا
بِجَرَافَاتِ إِسْرَائِيلِ
تَنْكُشُ فِي تُرَابِنَا
تَنْكُشُ فِي تَارِيخِنَا

تَنْكُشُ فِي إِنْجِيلِنَا
تَنْكُشُ فِي قُرْآنِنَا
تَنْكُشُ فِي تُرَابِ أَنْبِيَائِنَا
إِنْ كَانَ هَذَا ذَنْبِنَا
مَا أَجْمَلَ الْإِرْهَابُ!
مُتَّهَمُونَ نَحْنُ بِالْإِرْهَابِ
إِذَا رَفَضْنَا مَحُونَا
عَلَى يَدِ الْمَغُولِ وَالْيَهُودِ وَالْبِرَابِرَةِ
إِذَا رَمَيْنَا حَجَرًا
عَلَى زُجَاجِ مَجْلِسِ الْأَمْنِ الَّذِي
اسْتَوَلَى عَلَيْهِ قَيْصَرُ الْقِيَاصَةِ
مُتَّهَمُونَ نَحْنُ بِالْإِرْهَابِ

إِذَا رَفَضْنَا أَنْ نُفَاوِضَ الذَّنْبَ

وَأَنْ نَمُدَّ كَفَّنًا لـ أَمِيرِكا

ضِدَّ ثَقَافَاتِ الْبَشَرِ

وهي بلا ثقافةٍ

ضِدَّ حَضَارَاتِ الْحَضَرِ

وهي بلا حضارةٍ

أَمِيرِكا بِنَايَةُ عَمَلَاقَةٍ

لَيْسَ لَهَا حَيْطَانُ

مُتَّهَمُونَ نَحْنُ بِالْإِرْهَابِ

إِذَا رَفَضْنَا زَمَنًا

صَارَتْ بِهِ أَمِيرِكا الْمَغْرُورَةُ الْغَنِيَّةُ الْقَوِيَّةُ

مُتَرْجِمًا مُحَلِّفًا لِلُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ!

مُتَّهِمُونَ نَحْنُ بِالْإِرْهَابِ

إِذَا رَمَيْنَا وَرَدَةً

لِلْقُدُسِ.. لِلخَلِيلِ

أَوْ لَغَزَّةٍ وَالنَّاصِرَةِ

مُتَّهِمُونَ نَحْنُ بِالْإِرْهَابِ

إِذَا ذَكَّرْنَا رَبَّنَا تَعَالَى

إِذَا تَلَوْنَا سُورَةَ الْفَتْحِ

وَأَصْغَيْنَا إِلَى خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ

فَنَحْنُ ضَالِعُونَ فِي الْإِرْهَابِ!

مُتَّهِمُونَ نَحْنُ بِالْإِرْهَابِ

إِنْ نَحْنُ دَافَعْنَا عَنِ الْأَرْضِ

وَعَنْ كَرَامَةِ التُّرَابِ

أَنَا مَعَ الْإِرْهَابِ
إِنْ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْقِذَنِي
مَنْ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ رُوسِيَا
وَرُومَانِيَا، وَهَنْغَارِيَا، وَبُولُونِيَا
وَحَطُّوا فِي فَلَسْطِينَ عَلَى أَكْتَافِنَا
لِيَسْرِقُوا مَا ذَنْ الْقُدْسِ
وَبَابَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
وَيَسْرِقُوا النُّقُوشَ وَالْقِبَابَ
أَنَا مَعَ الْإِرْهَابِ
إِنْ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَرِّرَ الْمَسِيحَ
وَمَرِيَمَ الْعِذْرَاءَ وَالْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ
مِنْ سُفْرَاءِ الْمَوْتِ وَالْخَرَابِ

بِالْأَمْسِ كَانَ الشَّارِعُ الْقَوْمِيَّ فِي بِلَادِنَا
 يَصْهَلُ كَالْحِصَانِ
 وَكَانَتِ السَّاحَاتُ أَنْهَارًا تَفِيضُ عَنْفَوَانُ
 وَبَعْدَ أَوْسَلُو
 لَمْ يَعْذُ فِي فَمِنَا أَسْنَانُ
 فَهَلْ تَحَوَّلْنَا إِلَى شَعْبٍ مِنَ الْعُمَيَّانِ وَالْخُرَّسَانِ؟
 أَنَا مَعَ الْإِرْهَابِ
 إِنْ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَرِّرَ الشَّعْبَ
 مِنَ الطُّغَاةِ وَالطُّغَيَّانِ
 وَيُنْقِذَ الْإِنْسَانَ مِنْ وَحْشِيَّةِ الْإِنْسَانِ!
 أَنَا مَعَ الْإِرْهَابِ
 إِنْ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْقِذَنِي

مِنْ قَيْصَرِ الْيَهُودِ
أَوْ مِنْ قَيْصَرِ الرُّومَانِ
أَنَا مَعَ الْإِرْهَابِ
مَا دَامَ هَذَا الْعَالَمُ الْجَدِيدُ
مُقَسَّمًا مَا بَيْنَ أَمْرِيكَ وَإِسْرَائِيلَ بِالْمَنَاصِفَةِ!!
أَنَا مَعَ الْإِرْهَابِ
بِكُلِّ مَا أَمْلِكُ مِنْ شَعْرٍ وَمِنْ نَشْرٍ وَمِنْ أَنْيَابٍ
مَا دَامَ هَذَا الْعَالَمُ الْجَدِيدُ
بَيْنَ يَدَيَّ قَصَابٍ
أَنَا مَعَ الْإِرْهَابِ
مَا دَامَ هَذَا الْعَالَمُ الْجَدِيدُ قَدْ صَنَّفْنَا
مِنْ فِتْنَةِ الذُّنُوبِ!!

أَنَا مَعَ الْإِرْهَابِ
إِنْ كَانَ مَجْلِسُ الشُّيُوخِ فِي أَمِيرِكَ
هُوَ الَّذِي فِي يَدِهِ الْحِسَابُ
وَهُوَ الَّذِي يُقَرِّرُ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ
أَنَا مَعَ الْإِرْهَابِ

مَا دَامَ هَذَا الْعَالَمُ الْجَدِيدُ
يَكْرَهُ فِي أَعْمَاقِهِ رَائِحَةَ الْأَعْرَابِ
أَنَا مَعَ الْإِرْهَابِ

مَا دَامَ هَذَا الْعَالَمُ الْجَدِيدُ
يُرِيدُ ذَبْحَ أَطْفَالِي
وَرَمِيَهُمْ إِلَى الْكَلَابِ!
مِنْ أَجْلِ هَذَا كُلِّهِ

أَرْفَعُ صَوْتِي عَالِيًا:

أَنَا مَعَ الْإِرْهَابِ

أَنَا مَعَ الْإِرْهَابِ

أَنَا مَعَ الْإِرْهَابِ!!!

* * *

المقاومة هوية

أمّا الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش فهو شاعرُ
المقاومة والثّورة الفلسطينيّة بامتياز؛ مُنذُ بداياته الأولى على
دَرْبِ الشَّعْرِ والمقاومة؛ حيثُ بدأت تجربته الشّعريّة مع
النضال الفلسطيني الممتدّ مُنذُ نكبة ١٩٤٨م، مرورًا بالنكباتِ
والانتكاساتِ والانتفاضاتِ الفلسطينيّة والعربيّة حتّى آخرِ أيامِ
حياته الحافلة بالنّضالِ والمُقاومة.

ويمكّننا القولُ دُونَ مُبالغةٍ إنّ درويش هو مُؤرِّخُ النضالِ
الفلسطينيّ والثّورة الفلسطينيّة الدّائمة الذي عاشها ووَأكَبَ
أحداثها لحظةً بلحظة، وجسّدَ في شِعْره بُطولاتها وانكساراتها،
وآمالَ الأُمّةِ في النّهوضِ والتحرُّرِ.

امتازَ شِعْرُ محمود درويش بالامتزاجِ التّامِّ بَيْنَ مفهومِ
المقاومةِ ومفهومِ الهويّة، باعتبارِ أنّ المقاومةَ تمثيلٌ للإنسانِ

الفلستيني في سَعِيهِ للانعتاقِ من الاحتلالِ، وفي سَعِيهِ لبناءِ
مُقَوِّماتِ حضاريَّةٍ تحفَظُ له تاريخه ومكانته اللائقة في عَالَمِنَا،
بل وتمنحه قُدرةً على العطاءِ للحضارةِ الإنسانيةِ، وقُوَّةً تغرِّسه
في أرضه السَّليبةِ، ورُوحًا تتَّسِعُ لأرضِ فلسطينَ وناسِها
وحقولِها وكُرومِها، للزَّيتونِ ومآذنِ القُدسِ وكنائسِها وبيوتِها
وتاريخِها.

وفي شِعْرِ درويش تتماهى القضيةُ الفلستينيَّةُ مع التَّاريخِ
الإنسانيِّ لهذه الأرضِ المقدَّسةِ، ومع الوعي القومِيِّ المُتنامي
بالقضيَّةِ، ومع الوعي الذَّاتيِّ للشاعرِ وتطوُّراتِ هذا الوعي
القومِيِّ والذَّاتيِّ مُنْذُ لحظةِ النِّكبةِ إلى آخِرِ يَوْمٍ من أَيَّامِ حياتِه
الحافلةِ بالتَّجاربِ، وتعدُّدِ صُورِ المقاومةِ في أرضِ الوطنِ،
وفي المنافي التي تشرَّدَ فيها مع الملايين من أبناءِ فلسطينَ،
ولِسَانِ حالِه يقولُ بلسانِ شِعْرِهِ:

خَسِرْتُ حُلْمًا جَمِيلًا
خَسِرْتُ لَسَعَ الزَّنابقِ

وكان لَيْلِي طويلا
على سِيَّاحِ الحِداثِ
وما خَسِرْتُ السَّبِيلَا!
لَقَدْ تَعَوَّدَ كَفِّي
على جِرَاحِ الأَمَانِي
هُزِّي يَدِي بَعْنِفٍ
يَنْسَابُ نَهْرُ الأَغَانِي
يَا أُمَّ مُهْرِي وَسِيفِي!
يَمَّا مَوِيلَ الهَوَى
يَمَّا مَوِيلًا
ضَرَبَ الخَنَاجِرُ وَلَا
حَكَمَ النِّدْلُ فَيًّا!

نعم كان السَّبِيلُ هو القُدُس، ودَرَبَ تحريرِها وتحريرِ كاملِ
التُّرابِ المُقَدَّسِ، لا مِنْ قبْضةِ الاحتلالِ الصهيونيِّ فَحَسْبُ، بل
من قبْضةِ الاغترابِ وضياعِ الهويَّةِ، وعزلةِ الإنسانِ الفلسطينيِّ
بل والعربيِّ عن العالمِ.

إنَّ القَضِيَّةَ الفلسطينيَّةَ في رُؤيةِ هذا الشَّاعرِ العظيمِ أَوْسَعُ
من مُقاومةِ المُحتلِّ، إِنَّها تَسْعُ لِإنقاذِ الوطنِ من كُلِّ ما يُعيقُهُ
عن التَّطوُّرِ والمشاركةِ الفاعلةِ في الحضارةِ الإنسانيَّةِ، يقول
درويش في قصيدةٍ مُبَكِّرةٍ له بعنوان «ولاء»:

حَمَلْتُ صَوْتِكَ فِي قَلْبِي وَأُورِدَتِي
فَمَا عَلَيْكَ إِذَا فَارَقْتُ مَعْرَكَتِي
أَطَعْتُ لِلرَّيْحِ أَيْبَاتِي وَزُخْرُفَهَا
إِنْ لَمْ تَكُنْ كَسِيفِ النَّارِ قَافِيَتِي
أَمَنْتُ بِالْحَرْفِ إِمَّا مَيِّتًا عَدَمًا
أَوْ نَاصِبًا لِعَدُوِّي حَبْلَ مِشْنَقَتِي

أَمَنْتُ بِالْحَرْفِ نَارًا لَا يَضِيرُ إِذَا
كُنْتُ الرَّمَادَ أَنَا أَوْ كَانَ طَاجِيَتِي!
فَإِنْ سَقَطْتُ وَكَفَى رَافِعُ عِلْمِي

سيكتب الناسُ فوقَ القبرِ «لَمْ يُمْتْ»!
كلماتٌ كطلقاتِ الرصاصِ، ستهدأ نبرتها مع نُضجِ التَّجربةِ
الفنيَّةِ والإنسانيَّةِ للشَّاعرِ، وستزدادُ عُمُقًا مع تطوُّرِ وَعْيِهِ بِأبعادِ
القضيَّةِ، على نَحْوِ ما نرى في قصيدةِ «عاشق من فلسطين»،
حيثُ تتوحدُ فلسطينُ مع رُوحِ الشَّاعرِ:

رَأَيْتُكَ فِي خَوَابِي الْمَاءِ وَالْقَمْحِ
مَحْطَمَةً، رَأَيْتُكَ فِي مَقَاهِي اللَّيْلِ خَادِمَةً
رَأَيْتُكَ فِي شُعَاعِ الدَّمْعِ وَالْجُرْحِ
وَأَنْتِ الرَّثَّةُ الْأُخْرَى بِصَدْرِي
أَنْتِ أَنْتِ الصَّوْتُ فِي شَفَتِي
وَأَنْتِ الْمَاءُ، أَنْتِ النَّارُ!

... إلخ. فلنقرأ واحدةً من أعذب قصائد شاعرنا، وهي وإن
كانت من بداياته الأولى فإنَّها تحملُ ملامحَ من شعره الآتي،
الَّذي شكَّلَ في مجموعِهِ أغنيةَ عاشِقٍ للقدسِ وفلسطين،
وللعروبةِ، ورُوحاً حُرَّةً تحلَّقُ في أفقِ إنسانيٍّ رحيبٍ، لنقرأ:

عاشق من فلسطين

محمود درويش

عُيُونُكَ شَوْكَةٌ فِي الْقَلْبِ
تُوجِعُنِي وَأَعْبُدُهَا!
وَأَحْمِيهَا مِنَ الرِّيحِ
وَأَغْمِدُهَا وَرَاءَ اللَّيْلِ وَالْأَوْجَاعِ.. أَغْمِدُهَا
فِيُشْعِلُ جُرْحُهَا ضَوْءَ الْمَصَابِيحِ
وَيَجْعَلُ حَاضِرِي غَدَا
أَعِزُّ عَلَيَّ مِنْ رُوحِي
وَأَنْسَى، بَعْدَ حِينٍ، فِي لِقَاءِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ

بأنا مرةً كُنَّا وراءَ البابِ اثْنَيْنِ!
كَلَامُكَ كَانَ أَغْنِيَةً
وَكُنْتُ أَحَاوِلُ الْإِنْشَادَ
وَلَكِنَّ الشِّتَاءَ أَحَاطَ بِالشَّفَقِ الرَّبِيعِيِّ
كَلَامُكَ كَالسَّنُونُو طَارَ مِنْ بَيْتِي
فَهَاجَرَ بَابَ مَنْزِلِنَا وَعَتَبَتُنَا الْخَرِيفَةُ
وَرَاءَكَ حَيْثُ شَاءَ الشَّوْقُ
وَانْكَسَرَتْ مَرَايَانَا
فَصَارَ الْحُزْنُ أَلْفَيْنِ!
وَلَمَلَمْنَا شَطَايَا الصَّوْتِ
لَمْ نُثَقِّنْ سِوَى مَرَثِيَّةِ الْوَطَنِ
سَنَنْزِعُهَا مَعًا فِي صَدْرِ جِيتَارٍ

وفوق سطوح نكبتنا سنغزفها
لأقمار مشوّهة وأحجار!
ولكنني نسيْتُ نسيْتُ يا مجهولة الصّوت:
رحيلك أصداء الجيتار أم صمّتي؟!
رأيتك أمس في الميناء
مُسافرةً بلا أهل، بلا زادٍ
ركضتُ إليك كالأيتام
أسألُ حكمةَ الأجداد:
لماذا تُسحبُ البيّارةُ الخضراءُ
إلى سجنٍ، إلى منقًى، إلى ميناءٍ
وتبقى رَغَمَ رحلتها
ورَغَمَ روائح الأملاح والأشواقِ

تَبْقَى دَائِمًا خَضْرَاءُ!
وَأَكْتُبُ فِي مُفَكَّرَتِي:
أَحِبُّ الْبَرْتَقَالَ وَأَكْرَهُ الْمِينَاءُ
وَأُرْدِفُ فِي مُفَكَّرَتِي:
عَلَى الْمِينَاءُ
وَقَفْتُ، وَكَانَتِ الدُّنْيَا عَيُونَ شِتَاءُ
وَخَلْفِي كَانَتِ الصَّحْرَاءُ!
رَأَيْتُكَ فِي جِبَالِ الشُّوْكِ
رَاعِيَةً بِلَا أَغْنَامٍ
مُطَارَدَةً، وَفِي الْأُطْلَالِ
وَكُنْتُ حَدِيقَتِي، وَأَنَا غَرِيبُ الدَّارِ
أَدُقُّ الْبَابَ يَا قَلْبِي

على قلبي!

يَقُومُ الْبَابُ وَالشَّبَّابُ وَالْإِسْمَنْتُ وَالْأَحْجَارُ!

رَأَيْتُكَ فِي خَوَابِي الْمَاءِ وَالْقَمْحِ

مَحْطَمَةً، رَأَيْتُكَ فِي مَقَاهِي اللَّيْلِ خَادِمَةً

رَأَيْتُكَ فِي شُعَاعِ الدَّمْعِ وَالْجُرْحِ

وَأَنْتِ الرَّئَةُ الْأُخْرَى بِصَدْرِي

أَنْتِ أَنْتِ الصَّوْتُ فِي شَفَافِي

وَأَنْتِ الْمَاءُ، أَنْتِ النَّارُ!

رَأَيْتُكَ عِنْدَ بَابِ الْكَهْفِ، عِنْدَ الدَّارِ

مُعَلَّقَةً عَلَى حَبْلِ الْغَسِيلِ ثِيَابَ أَيْتَامِكَ

رَأَيْتُكَ فِي الْمَوَاقِدِ، فِي الشُّوَارِعِ،

فِي الزَّرَائِبِ، فِي دَمِ الشَّمْسِ

رَأَيْتُكَ فِي أَغَانِي الْيُتَمِّمِ وَالْبُؤْسِ!
رَأَيْتُكَ مِلءَ مِلْحِ الْبَحْرِ وَالرَّمْلِ
وَكُنْتَ جَمِيلَةً كَالْأَرْضِ، كَالْأَطْفَالِ، كَالْفُلِّ!
وَأُقْسِمُ:

مِنْ رُمُوشِ الْعَيْنِ سَوْفَ أُخِيطُ مَنَدِيلًا
وَأُنْقَشُ فَوْقَهُ عَيْنِيكَ
وَاسْمًا حِينَ أَسْقِيهِ فَوَادًا ذَابَ تَرْتِيلًا
يَمُدُّ عِرَائِشَ الْأَيْكِ!
سَأَكْتُبُ جَمَلَةً أَعْلَى مِنَ الشُّهَدَاءِ وَالْقُبُلِ:
«فَلَسْطِينِيَّةٌ كَانَتْ.. وَلَمْ تَزَلِ!»
فَتَحْتُ الْبَابَ وَالشَّبَّاكَ فِي لَيْلِ الْأَعَاصِيرِ
عَلَى قَمَرٍ تَصَلَّبَ فِي لَيَالِنَا

وَقُلْتُ لِلَّيْلِ: دُورِي!
وراءَ اللَّيْلِ وَالشُّورِ
فلي وَعُدُّ مع الكلماتِ وَالنُّورِ
وَأَنْتِ حديقتي العَذْرَاءُ
ما دَامَتْ أَغَانِينَا
سَيُوفًا حِينَ نَشْرَعُهَا
وَأَنْتِ وَفِيَّةٌ كَالْقَمْحِ
ما دَامَتْ أَغَانِينَا
سِمَادًا حِينَ نَزْرَعُهَا
وَأَنْتِ كَنخلةٍ فِي الْبَالِ
ما انْكَسَرَتْ لِعاصِفَةٍ وَحَطَّابٍ
وما جَزَّتْ ضفائرها

وُحُوشُ الْبَيْدِ وَالْغَابِ
وَلَكِنِّي أَنَا الْمَنْفِيُّ خَلَفَ السُّورِ وَالْبَابِ
خُذِنِي تَحْتَ عَيْنِكَ
خُذِنِي أَيْنَمَا كُنْتُ
خُذِنِي كَيْفَمَا كُنْتُ
أُرُدُّ إِلَيَّ لَوْنَ الْوَجْهِ وَالْبَدَنِ
وَضَوْءَ الْقَلْبِ وَالْعَيْنِ
وَمِلْحَ الْخَبْزِ وَاللَّحَنِ
وَطَعْمَ الْأَرْضِ وَالْوَطَنِ!
خُذِنِي تَحْتَ عَيْنِكَ
خُذِنِي لَوْحَةً زَيْتِيَّةً فِي كُوخِ حَسْرَاتِ
خُذِنِي آيَةً مِنْ سِفْرِ مَآسَاتِي

خُذْنِي لُغَةً.. حَجَرًا مِنَ الْبَيْتِ
لِيَذْكُرَ جِيلُنَا الْآتِي
مَسَارِبُهُ إِلَى الْبَيْتِ!
فِلَسْطِينِيَّةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْوَشْمِ
فِلَسْطِينِيَّةَ الْأَسْمِ
فِلَسْطِينِيَّةَ الْأَحْلَامِ وَالْهَمِّ
فِلَسْطِينِيَّةَ الْمَنْدِيلِ وَالْقَدَمَيْنِ وَالْجِسْمِ
فِلَسْطِينِيَّةَ الْكَلِمَاتِ وَالصَّمْتِ
فِلَسْطِينِيَّةَ الصَّوْتِ
فِلَسْطِينِيَّةَ الْمِيلَادِ وَالْمَوْتِ!
حَمَلْتُكَ فِي دِفَاتِرِي الْقَدِيمَةِ
نَارَ أَشْعَارِي

حَمَلْتُكَ زَادَ أَسْفَارِي

وَبِاسْمِكَ صَحْتُ فِي الْوَدْيَانِ:

خُيُولُ الرُّومِ! أَعْرِفُهَا

وَإِنْ يَتَبَدَّلِ الْمِيدَانُ!

خُذُوا حَذَرًا

مَنْ الْبَرْقِ الَّذِي صَكَّتُهُ أُغْنِيَتِي عَلَى الصَّوَانِ

أَنَا زَيْنُ الشَّبَابِ وَفَارَسُ الْفَرَسَانِ

أَنَا وَمُحَطَّمُ الْأَوْتَانِ

حُدُودُ الشَّامِ أَزْرَعُهَا

قِصَائِدَ تُطْلَقُ الْعُقْبَانُ!

وَبِاسْمِكَ صَحْتُ بِالْأَعْدَاءِ:

كُلِّي لَحْمِي إِذَا مَا نِمْتُ يَا دِيدَانُ!

فَبَيِّضُ النَّمْلَ لَا يَلِدُ النُّسُورُ،

وَبَيِّضَةُ الْأَفْعَى

يُخَبِّئُ قَشْرَهَا تُعْبَانُ!

خُيُولُ الرُّومِ أَعْرِفُهَا

وَأَعْرِفُ قَبْلَهَا أَنِّي

أَنَا زَيْنُ الشَّبَابِ وَفَارَسُ الْفَرَسَانِ

* * *

فرسان في زمن الهزيمة!

يمكن للباحث إذا تَبَعَ مسيرة الشعر العربي الحديث أن يرسم خارطة واضحة الملامح للقضية الفلسطينية وما مرّت به من منعطفات وأحداث جسام، بدءًا من حرب النكبة التي ضاعت على إثرها فلسطين والقدس عام ١٩٤٨م، ومرورًا بالمعارك التي تلت ذلك، ونضال الشعب الفلسطيني الباسل ضد المحتل، وما تلا ذلك من ثورات وانتفاضات وانتكاسات، ثم دعوات الصلح مع اليهود التي لم تستطع أن تنزع من أبناء هذه الأمة روح المقاومة والفداء.

ومن أبرز القصائد التي جسّدت روح المقاومة العربية قصيدة الشاعر المصري أمل دنقل: «لا تصالح». يُوجّه الشاعر قصيدته إلى كل عربيّ غيور على القدس وفلسطين، وإن بدا أنّه يخاطب الرئيس السادات حين توجّه إلى القدس وألقى خطابه الشهير في الكنيست الإسرائيلي.. يبدأ الشاعر قصيدته

بما يشبه بياناً ثوريّاً، متخليّاً عن جماليات اللغة الشعرية، ولكن
في أول سطور القصيدة فحسب:

لا تُصالحُ

ولو منحوك الذَّهَبُ!

ثم تتدفّق الصور الشعريّة في تداعيات حُرّة تهز النَّفْسَ
من أعماقها، حين تستدعي معاني الأخوّة وعمق هذه الصلة
الروحية بين الأخ وأخيه:

أُتْرَى حينَ أفقاً عينيكَ

ثُمَّ أُثْبِتُ جَوْهَرَتَيْنِ مكانهما

هَلْ تَرَى؟

هِيَ أَشْيَاءٌ لَا تُشْتَرَى:

ذِكْرِيَّاتُ الطُفُولَةِ بين أخيك وبينك،

حُسْكُما - فجأةً - بالرجولة،

هذا الحياءُ الذي يَكْبِتُ الشوقَ حينَ تعانقُهُ،
الصَّمْتُ - مُبْتَسِمِينَ - لتَأْنِيبِ أُمِّكُمْ
وكأَنَّكُمْ ما تَزَالانِ طِفْلَيْنِ!
تلك الطمأنينةُ الأبديةُ بينكما:

أَنَّ سِيفَانِ سِيفَكَ

صَوْتَانِ صَوْتَكَ

أَنْكَ إِنْ مَتَّ:

لِلبَيْتِ رَبُّ

وَلِلطِفْلِ أَبُ

ثم تأتي اللوحة الثانية تتحدَّى دعوات السلام والاستسلام
وَتُقَنِّدُهَا بوعي شعري عميق يتكى على الحكمة العربية
والأمثال الشعبية:

لا تصالح على الدِّمِ حتى بدم!
لا تصالح ولو قيل: رأسُ برأسٍ
أكلُ الرءوسِ سواء؟
أقلُّبُ الغريب كقلب أخيك؟!
أعِينَاهُ عَيْنَا أخيك؟!
وهل تتساوى يدُ سيفها كان لكُ
بيد سيفها أتكلك؟!

وهذه اللوحة وسابقتها بمثابة تمهيد أجْمَلُ فيه الشاعر
ما سَيُفَصِّلُهُ في اللوحات الثمانى التالية؛ حيث يتخذ الشاعر
من سيرة المهلهل إطاراً يُدير فيه الصراع العربىِّ الإسرائيليِّ،
الصراع بين الحقِّ الذي يريد الانتصار والثأر ممثلاً في
المهلهل حين طالب بدم كليب المقتول غدرًا، فأراد بنو بكر
أن يستدرجوه إلى الصلح قائلين: نحن أبناء عمومة، ونريد
حقن الدماء، فما كان من المهلهل إلَّا أن صاح فيهم:

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلِّيًّا

يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ؟

هكذا يصبح المهلهل تجسيدًا تاريخيًا لمعنى الثأر
والانتصار للحقِّ المغتصَب، وتصبح ابنته الإمامة رمزًا للقدس
المحتلة:

لَا تُصَالِحِ..

وتذكّر

(إذا لَانَ قَلْبُكَ للنسوة اللابسات السوادَ وأطفالهن
الذين تخاصمهم الابتسامة)
أَنْ بِنْتَ أَخِيكَ الإمامة

زهرة تتسربل - في سنوات الصَّبَا - بثياب الحِدادِ

ثم يتحوَّل الرمز التاريخي إلى رمز إنسانيٍّ كونيٍّ متلاعبًا
بكلمة الإمامة؛ حَيْثُ يتحوَّل من اسم ابنة كليب «الإمامة»

إلى الطائر الذى يرمز للسلام والوداعة، ذلك الرمز الذى تم اغتياله:

فما ذَنْبُ تلك اليمامة
لترى العُشَّ محترقاً فجأةً،
وهي تجلس فوق الرماذ؟

هكذا تتماهى الشخصية التاريخية مع الرمز الإنساني، مع
القدس التي احترقت فجأةً وأبناؤها يجلسون فوق رماذها!

والقصيدة حافلة باقتباسات وتضمنات من ماثور الحكمة
والأمثال العربية والبيئة العربية بما تموج به من رموز القوة
والشجاعة والفروسية: الفرسان والخيل والسيوف، والتناقض
بين تلك الرموز ودعوات الاستسلام التي هي المرادف للجبن
والخيانة والهوان والعار:

لا تُصَالِحْ
ولو قِيلَ ما قِيلَ مِنْ كَلِمَاتِ السَّلَامِ!

ثم يستصرخ روح الشرف والكرامة والنخوة العربية
بهذه التساؤلات التي تتجاوز كل منطق يدعو إلى العجز
والاستسلام:

كيف تنظر في عيني امرأة
أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟
كيف تصبح فارسها في الغرام؟
كيف ترجو غداً لوليد ينام؟
كيف تحلم أو تتغنّى بمستقبل لغلام
وهو يكبر بين يديك بقلب منكس؟!

ثم يسوق حجج الداعين إلى السلام ويدحضها بقوة
ويقين:

لا تصالح
ولو قيل إنَّ التصالح حيلة
إنَّه الثَّار

تبهت شعلته في الضلوع
إذا ما توالى عليها الفصولُ

ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها الخمس)
فوق الجباه الذليلة!

مشيراً إلى هزيمة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧م، تلك
الهزيمة التي ستظلُّ عاراً يلطخ وَجْهَ العروبةِ إلى أن يمحوها
الشار.

إن قضية القدس هي قضية شرف العروبة، وثأر العرب
الذي لا ينام؛ لأنه الحقُّ الصريح في مواجهة عدوان غاشم
تكاثفت في سبيله قُوى طاغيةٌ، فكيف يتعاونون على الغدر
والعدوان ولا تتكاتف لصدِّ العدوان ودحرِ المعتدين:

لا تُصالحُ

فما الصلح إلا معاهدة بين نذَّينِ (في شرف القلبِ)

لا تُنتَقِصُ

والذي اغتالني مَحْضُ لَصٍّ
سرق الأرض من بين عينيَّ
والصَّمْتُ يطلق ضحكته الساخرة!
ويُنْهِي أمل دنقل قصيدته متوجِّهًا إلى روح الشهيد والفدائي
العربي:

لا تُصَالِحْ
فليس سِوَى أَنْ تُرِيدَ
أَنْتَ فَارِسُ هذا الزَّمانِ الوحيدِ
وسِوَاكَ المُسُوخُ!

إن مفهوم المقاومة يمتد في هذه القصيدة ليشمل الدفاع
عن الأرض والعرض والكرامة، بل ليشمل الهوية والوجود
الإنساني ذاته، مستندًا إلى ذخيرة وافرة من التراث العربي
الأصيل الضارب بجذوره في أعماق التاريخ وفي أعماق

الذات العربية، التي فُطِرَت على المقاومة وعدم الخضوع أيًّا
كانت الظروف أو المسوِّغات التي تقال لتبرير العجز والوهن
والاستسلام.

لا تصالح

أمل دنقل

(١)

لا تُصَالِحْ
ولو منحوك الذَّهَبُ!
أُتْرَى حِينَ أَفْقَأُ عَيْنِكَ
ثُمَّ أُثَبِّتُ جَوْهَرَتَيْنِ مَكَانَهُمَا
هَلْ تَرَى؟
هِيَ أَشْيَاءٌ لَا تُشْتَرَى:
ذِكْرِيَّاتُ الطُّفُولَةِ بَيْنَ أَخِيكَ وَبَيْنَكَ،
حُسْكُمَا - فَجَاءَ - بِالرَّجُولَةِ،

هذا الحياءُ الذي يَكْبِتُ الشوقَ حينَ تعانقُهُ،
الصَّمْتُ - مُبْتَسِمِينَ - لتأنيبِ أُمَّكُما
وكأنكُما ما تَزَالانِ طِفْلَيْنِ!
تلك الطمأنينةُ الأبديةُ بينكما:

أَنْ سِيفَانِ سِيفَكَ

صوتانِ صوتَكَ

أَنْكِ إِنْ مِتَّ:

للبيتِ رَبُّ

وللطفلِ أَبُّ

هل يصير دَمِي - بين عَيْنَيْكَ - ماءً؟

أَتَنْسَى رَدَائِي المَلطَّخَ بالدَّمِ

تَلْبَسُ - فوق دِمَائِي - ثيابًا مَطْرَزةً بالقِصَبِ؟

إِنَّهَا الحَرْبُ!

قد تُثْقِلُ الْقَلْبَ
لَكِنَّ خَلْفَكَ عَارَ الْعَرَبِ
لَا تُصَالِحُ
وَلَا تَتَوَخَّ الهَرَبُ!



(٢)

لَا تُصَالِحُ عَلَى الدِّمِ حَتَّى بَدَمُ!
لَا تُصَالِحُ وَلَوْ قِيلَ رَأْسُ بَرَأْسٍ
أَكُلُ الرُّعُوسِ سِوَاءُ؟
أَقْلَبُ الْغَرِيبِ كَقَلْبِ أَخِيكَ؟
أَعَيْنَاهُ عَيْنَا أَخِيكَ؟
وَهَلْ تَتَسَاوَى يَدُ سَيْفُهَا كَانَ لَكَ
بِيَدِ سَيْفُهَا أَثْكَلُكَ؟

سيقولون: جئناك كي تحقن الدَّم
 جئناك كُنْ - يا أمير- الحَكَمُ
 سيقولون: ها نَحْنُ أبناءُ عمِّ!
 قل لهم: إنهم لم يُراعوا العمومةَ فيمنَ هَلَكُ
 واغرس السيفَ في جبهة الصحرَاءِ
 إلى أن يُجيبَ العَدَمُ!
 إنني كُنْتُ لَكَ
 فارسًا،
 وأخًا،
 وأبًا،
 ومَلِكُ!



(٣)

لا تُصَالِحْ
 ولو حَرَمْتَكَ الرقادُ

صرخاتُ الندامةُ

وتذكّر..

(إذا لَانَ قَلْبُكَ لِلنِّسْوَةِ اللّابِسَاتِ السَّوَادَ

وَأَطْفَالِهِنَّ الَّذِينَ تُخَاصِمُهُمُ الْاِبْتِسَامَةُ)

أَنْ بِنْتَ أَخِيكَ «الِيَمَامَةُ»

زهرةُ تتسرّبُلُ - في سنواتِ الصِّبَا - بثيابِ الحدادِ

كنتُ، إِنْ عُدْتُ:

تَعْدُو عَلَى دَرَجِ الْقَصْرِ،

تُمْسِكُ سَاقِيَّ عِنْدَ نَزُولِي

فَأَرْفَعُهَا - وَهِيَ ضَاحِكَةٌ -

فَوْقَ ظَهْرِ الْجَوَادِ

هَا هِيَ الْآنَ صَامِتَةٌ

حَرَمَتْهَا يَدُ الْغَدْرِ:

مِنْ كَلِمَاتِ أَبِيهَا،
ارْتِدَاءِ الثِّيَابِ الْجَدِيدَةِ
مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهَا - ذَاتَ يَوْمٍ - أَخٌ!
مَنْ أَبٍ يَتَبَسَّمُ فِي عُرْسِهَا
وَتَعُودُ إِلَيْهِ إِذَا الزَّوْجُ أَغْضَبَهَا
وَإِذَا زَارَهَا يَتَسَابَقُ أَحْفَادُهُ نَحْوَ أَحْضَانِهِ،
لِيُنَالُوا الْهَدَايَا
وَيَلْهُوُوا بِلَحِيَّتِهِ (وَهُوَ مُسْتَسْلِمٌ)
وَيَشْدُوا الْعِمَامَةَ
لَا تُصَالِحُ!
فَمَا ذَنْبُ تِلْكَ الْيِمَامَةِ؟
لَتَرَى الْعَشَّ مُحْتَرقًا فَجَاءَةً،
وَهِيَ تَجْلِسُ فَوْقَ الرَّمَادِ؟!



(٤)

لا تُصَالِحْ
ولو تَوَّجُوكَ بِتَاجِ الإِمَارَةِ
كيف تَخْطُو عَلَى جُثَّةِ ابْنِ أَبِيكَ؟
وكيف تُصِيرُ الْمَلِيكَ
عَلَى أَوْجِهِ الْبَهْجَةِ الْمُسْتَعَارَةِ؟
كيف تَنْظُرُ فِي يَدِ مَنْ صَافَحَكَ
فَلَا تُبْصِرُ الدَّمَ
فِي كُلِّ كَفٍّ؟
إِنَّ سَهْمًا أَتَانِي مِنَ الْخَلْفِ
سَوْفَ يَجِيئُكَ مِنْ أَلْفِ خَلْفٍ
فَالدَّمُ - الْآنَ - صَارَ وَسَامًا وَشَارَةً
لا تُصَالِحْ،
ولو تَوَّجُوكَ بِتَاجِ الإِمَارَةِ!

إِنَّ عَرُشَكَ: سَيْفُ
وَسَيْفِكَ: زَيْفُ
إِذَا لَمْ تَزِنْ - بِذُؤَابَتِهِ - لِحِظَاتِ الشَّرَفِ
وَاسْتَطَبْتَ التَّرَفَ!

❖ ❖ ❖
(٥)

لَا تُصَالِحْ
وَلَوْ قَالَ مَنْ مَالَ عِنْدَ الصَّدَامِ:
« مَا بِنَا طَاقَةٌ لِمُتَشَاقِ الْحَسَامِ »
عِنْدَمَا يَمْلَأُ الْحَقُّ قَلْبَكَ
تَنْدَلَعُ النَّارُ إِنْ تَتَنَفَّسُ
وَلِسَانُ الْخِيَانَةِ يَخْرُسُ
لَا تُصَالِحْ
وَلَوْ قِيلَ مَا قِيلَ مِنْ كَلِمَاتِ السَّلَامِ

كيف تستنشق الرئتان النسيمَ المدنّس؟

كيف تنظر في عيني امرأة

أنتَ تَعْرِفُ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ حَمَايَتَهَا؟

كيف تُصْبِحُ فَارِسَهَا فِي الْغَرَام؟

كيف ترجو غداً لوليدٍ ينام؟

كيف تَحْلُمُ أَوْ تَتَغَنَّى بِمُسْتَقْبَلِ لَغْلَامٍ

وهو يكبر - بين يديك - بقلْبٍ مُنْكَس؟

لَا تُصَالِحْ

وَلَا تَقْتَسِمَ مَعَ مَنْ قَتَلُواكَ الطَّعَامَ

وَارْوَ قَلْبَكَ بِالْدمِ

وَارْوَ التَّرَابَ الْمَقْدَّسَ

وَارْوَ أَسْلَافَكَ الرَّاقِدِينَ

إِلَى أَنْ تَرُدَّ عَلَيْكَ الْعِظَامُ!



(٦)

لا تُصَالِحْ
ولو ناشدتك القبيلة
باسم حزن «الجليلة»
أَنْ تَسُوقَ الدَّهَاءَ
وتُبْدي - لمن قصدوك - القبول
سيقولون:
ها أنت تطلب ثأراً يطول
فخذ - الآن - ما تستطيع:
قليلاً من الحقِّ
في هذه السنوات القليلة
إنه ليس ثأركَ وحدك،
لكنه ثأر جيلٍ فجيل
وغداً

سوف يُولَدُ مَنْ يَلْبَسُ الدرعَ كاملةً،
يوقد النارَ شاملةً،
يطلب الثأرَ،
يستولد الحقَّ،
من أضلَّ المستحيل
لا تُصالحُ
ولو قيل إن التصالحَ حيلة
إنه الثأرُ
تَبَهَّتْ شُعْلَتُهُ فِي الضلوعِ
إذا ما توالَتَ عليها الفصولُ
ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها الخمس)
فوق الجباهِ الذليلة!



(٧)

لا تُصَالِحْ، ولو حَذَرْتُكَ النجومُ
ورمى لك كُهَاًنُهَا بالنبأ
كُنْتُ أَعْفِرُ لو أَنَّنِي مَتُّ
ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ
لم أكن غازياً،
لم أكن أتسلل قرب مضاربهم
لم أمدَّ يداً لثمار الكروم
أَرْضَ بستانِهم لم أَطأُ
لم يصحُّ قاتلي بي: «انتبه»!
كان يمشي معي
ثم صافحني..
ثم سار قليلاً
ولكنه في الغصون اختبأ!

فجاءه: ثَقَبْتُني قَشْعِرِيرَةً بين ضِلْعَيْنِ
 واهتزَّ قلبي - كَفَقَّاعَةً - وانفثاً!
 وتحاملتُ، حتى احتملت على ساعدي
 فرأيتُ ابْنَ عَمِّي الزَّيْنِمِ
 واقفاً يتشفَّى بوجهٍ لَيِّمٍ
 لم يَكُنْ في يدي حَرْبَةً
 أو سلاحٌ قديمٌ،
 لم يَكُنْ غَيْرُ غِيظِي الذي يتشكَّى الظمأ!



(٨)

لا تُصَالِحْ
 إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة:
 النجوم.. لميقاتها

والطيور.. لأصواتها

والرمال.. لذراتها

والقتيل لطفلته الناضرة

كل شيء تحطم في لحظة عابرة:

الصبا - بهجة الأهل - صوت الحصان - التعرف

بالضيف - همهمة القلب حين يرى برعمًا في الحديقة

يذوي - الصلاة لكي ينزل المطر الموسمي - مراوغة

القلب حين يرى طائر الموت

وهو يرفرف فوق المباراة الكاسرة

كل شيء تحطم في نزوة فاجرة

والذي اغتالني ليس ربًا

ليقتلني بمشيئته

ليس أنبل مني ليقتلني بسكينته

ليس أمهر مني ليقتلني باستدارته الماكرة

لا تُصَالِحْ

فما الصلح إلا معاهدةٌ بين نَدَّينَ (في شَرَفِ القلب)

لا تُنْتَقِصْ

والذي اغتالني مُحَضُّ لَصٍّ

سرق الأرض من بين عينيَّ

والصمت يطلقُ ضحكته الساخرة!



(٩)

لا تُصَالِحْ

فليس سِوَى أَنْ تُرِيدَ

أنت فارسُ هذا الزمانِ الوحيدِ

وسِوَاكَ المسوخ!



(١٠)

لا تُصَالِحْ!

لا تُصَالِحْ!!

* * *

ثورة أطفال الحجارة

حَظِيَّتْ انتفاضةُ الأقصى وانتفاضة الحجارة بنصيب كبير
منَ الشعر العربي على امتداد الخريطة العربية، فكما هَزَّت
تلك الثورةُ الثوابتَ السياسيَّةَ التي سعى المحتل إلى غَرْسِها
في نفوس أبناء الأُمَّة، وكَرَّستها دعوات الاستسلام، كذلك فقد
حَرَّكَتْ عاطفةَ الشعراء ليبدعوا أشكالاَ شعرية جديدة في تاريخ
شعر المقاومة؛ حيث لم تعد المقاومة للعدوِّ المحتل فحسب،
بل مقاومة أيضاً لروح الهزيمة والخضوع والاستسلام.

في هذه القصيدة للشاعر السوداني محمد الفيتوري «طفل
الحجارة»، تتجلَّى روح المقاومة النبيلة في هذا الطفل الذي
يحمل بيده حجراً يلقيه في وجه دبابة أو مدفع لا يخشى الموت
في زمن الموتى الذين أذعنوا لأسطورة العدو الذي لا يُقهر:

ليس طفلاً ذلك القادمُ في أزمنةٍ

الموتى إلهي الإشارة!

ليس طفلاً وحجارة

ليس بوقاً من نحاسٍ ورمادٍ

ليس طوقاً حول أعناق الطواويس مُحلّى بالسواد!

فما هو إذن ذلك الطفل الثائر؟!

إنَّه العَدْلُ الَّذِي يَكْبُرُ فِي صَمْتِ الجرائمِ

إنَّه التاريخُ مسقوفاً بأزهار الجماجمِ

إنَّه رُوحُ فلسطينِ المقاومِ

ثم يلقي الشاعر سخطه وثورته على الخونة الذين باعوا

قضية العرب، وباعوا الأرض والعرض، في مقابل ذلك الطفل

الذي يُجسِّدُ ما تبقى من الشرف العربيّ:

إِنَّهُ الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ تَخُنِ الْأَرْضَ
وَحَانَتْهَا الطَّرَائِشُ
وَحَانَتْهَا الْعِمَائُ!
إِنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَمْ يَخُنِ الْحَقَّ
وَحَانَتْهُ الْحُكُومَاتُ
وَحَانَتْهُ الْمَحَاكِمُ!

ثم يوجه الشاعر خطابه إلى الفلسطينيِّ البطل أن ينفض
عنه غبار الهزائم وينتفض في وجه العدوان الذي يتلَع أرضه
وتاريخه يومًا بعد يوم، ولكن ها هو «طفل الحجارة» قد
انتفض في وجه «العصر اليهودي»:

عَارِيًّا إِلَّا مِنَ الْقُدْسِ وَمِنْ زَيْتُونَةٍ
الْأَقْصَى وَنَاقُوسِ الْقِيَامَةِ

وهذا الطفل الفدائي يواجه أشرس قوى الطغيان: أن
تصلبه النازية اليهودية السوداء، وعليه أن يتحمل قدره ببطولة
خارقة:

فَعَلَى مَنْ غَرَسُوا عَيْنِيهِ بِالْقُضْبَانِ
أَلَّا يَتَأَلَّمُ
وَعَلَى مَنْ شَهِدَ الْمَاسَاةَ
أَلَّا يَتَكَلَّمُ!

طفل الحجارة

محمد الفيتوري

لَيْسَ طِفْلاً ذَلِكَ الْقَادِمُ فِي أَزْمِنَةِ
الْمَوْتَى إِلَهِيَّ الْإِشَارَةُ!
لَيْسَ طِفْلاً وَحَجَّارَةً
لَيْسَ بُوْقًا مِنْ نُحَاسٍ وَرَمَادٍ
لَيْسَ طَوْقًا حَوْلَ أَغْنَاقِ الطَّوَاوِيسِ مُحَلَّى بِالسَّوَادِ
إِنَّهُ طَقْسُ حَضَارَةٍ
إِنَّهُ الْعَصْرُ يُغَطِّي غُرْيَهُ فِي ظِلِّ مُوسِيقَى الْحَدَادِ
لَيْسَ طِفْلاً ذَلِكَ الْخَارِجُ مِنْ قُبْعَةِ الْحَاخَامِ

مَنْ قَوَّسَ الهِزَائِمَ
إِنَّهُ الْعَدْلُ الَّذِي يَكْبُرُ فِي صَمْتِ الْجِرَائِمِ
إِنَّهُ التَّارِيخُ مَسْقُوفًا بِأَزْهَارِ الْجَمَاجِمِ
إِنَّهُ رُوحُ فَلَسْطِينِ الْمَقَاوِمِ
إِنَّهُ الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ تَخْنِ الْأَرْضَ
وَحَانَتْهَا الطَّرَائِشُ
وَحَانَتْهَا الْعِمَائِمُ!
إِنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَمْ يَخْنِ الْحَقَّ
وَحَانَتْهُ الْحُكُومَاتُ
وَحَانَتْهُ الْمَحَاكِمُ!
فَانْتَرَعَ نَفْسَكَ مِنْ نَفْسِكَ
وَأَشْعَلَ أَيُّهَا الزَّيْتُ الْفِلَسْطِينِيَّ أَقْمَارَكَ
وَاحْضَنْ ذَاتَكَ الْكَبْرَى وَقَاوِمُ!

وأَضِيَّ نافذةَ البحرِ على البحرِ
وقل للموجِ إِنَّ الموجَ قادمٌ!
ليس طفلاً ذلك القادمُ
في عاصفةِ الثلجِ وأمواجِ الضبابِ
ليس طفلاً قَطُّ في هذا العذابِ
صَدِئَتْ نَجْمَةٌ هذا الوطنِ المحتلُّ في مَسْرَاقِ
من بابٍ لبابٍ
مِثْلَ شَحَاذٍ تَقَوَّسَتْ طويلاً في أقاليمِ الضبابِ
وكزنجي من الماضي تسمَّرت وراءَ الليلِ
مثقوبَ الحجابِ!
ليس طفلاً يتلهى عابثاً
في لعبةِ الكونِ المَحْطَمِ!
أنت في سنبلةِ النارِ وفي البرقِ المَلْتَمِ

كان مقدورًا لأزهاركَ وَجْهَ الأعمدة
ولأغصانك سقف الأمم المتحدة
ولأحجارك بهو الأوجه المرتعدة!
ليس طفلاً

هكذا تُولَدُ في العصرِ اليهوديِّ
وتستغرق في الحُلُمِ أُمَامَهُ
عارياً إلا من القدس ومن زيتونةِ
الأقصى وناقوسِ القيامةِ
شفقياً وشفيفاً كغمامةِ
واحتفالياً كأكفان شهيدٍ
وفدائياً من الجُرحِ البعيدِ
ولقد تَصَلَّبُكَ النازيةُ السوداءُ في
أقْبِيَةِ العصرِ الجديدِ

فَعَلَى مَنْ غَرَسُوا عَيْنِيهِ بِالْقُضْبَانِ
أَلَّا يَتَأَلَّمُ
وَعَلَى مَنْ شَهِدَ الْمَأسَاءَ
أَلَّا يَتَكَلَّمُ!

* * *

ماذا تبقى من بلاد الأنبياء؟

وفي مرثيةٍ شعرية جميلة للقدس وفلسطين تأتي قصيدة
«ماذا تبقى من بلاد الأنبياء؟» للشاعر المصري فاروق جويده،
يُصَوِّرُ فيها سماء القدس والنجمة السوداء ترفرف في أجوائها،
وأرض القدس الطاهرة التي صارت مواكبَ للقتلى وأنين
النساء الشكالى.

ويصوغ الشاعر قضية بلاد الأنبياء، لا بوصفها وطنًا سليلًا
فَحَسْبُ، بل روح أمة أسلمها الخائنون من أبنائها وراحوا
يمثلون الدنيا ضحيًّا بالخطب العصماء بينما الجلاّد يواصل
جلد الضحية، والهزائم العربية تتوالى «في مهرجان العجز»:
ما بين مؤتمرات السلام ومفاوضات السلام من أوصلو إلى
مدريد وحانات التطبيع:

فِي حَانَةِ التَّطْبِيعِ
 يَسْكُرُ أَلْفَ دَجَالٍ وَيَبْنِ كُنُوسَهُمْ
 تَنْهَارُ أَوْطَانٌ وَيَسْقُطُ كِبْرِيَاءُ
 لَمْ يَتْرُكُوا السَّمْسَارَ يَعْبَثُ فِي الْخَفَاءِ
 حَمَلُوهُ بَيْنَ النَّاسِ
 فِي الْبَارَاتِ.. فِي الطَّرِيقَاتِ.. فِي الشَّاشَاتِ
 فِي الْأَوْكَارِ.. فِي دُورِ الْعِبَادَةِ
 فِي قُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ
 يَتَسَلَّلُونَ عَلَى دُرُوبِ الْعَارِ
 يَنْكَفِتُونَ فِي صَخَبِ الْمَزَادِ
 وَيَرْفَعُونَ الرَّايَةَ الْبَيْضَاءُ!

ثم يواصل الشاعر رسم اللوحة القاتمة للواقع العربي
 المجلَّلِ بالهزيمة والخزي والهوان، وتبلغ المأساة ذروتها في
 الصمت الذي فُرض على الشعوب العربية حتى كاد يستأصل

روح المقاومة من داخلها:

مَاذَا سَيَبْقَى مِنْ شُعُوبٍ
لَمْ تَعُدْ أَبَدًا تُفَرِّقُ

بَيْنَ بَيْتٍ لِلصَّلَاةِ وَبَيْنَ وَكُرٍّ لِلْبَغَاءِ؟!

وماذا بعد هذا العجز المهين والهرولة إلى حمى الأعداء،
والترنح في دروب الخزي والمذلة؟ ماذا تبقى من بلاد
الأنبياء؟

مِنْ أَيِّ تَارِيخٍ سَنَبْدُ
بَعْدَ أَنْ ضَاقَتْ بِنَا الْآيَامُ
وَانْطَفَأَ الرَّجَاءُ؟!

ولكن ها هو الرجاء والأمل يُشْرِقُ من أعماق التاريخ،
ذلك التاريخ الذي ما زال يسكن في القلوب:

يَا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ عُودِي بِالضِّيَاءِ

يَتَسَلَّلُ الضُّوءُ الْعَنِيدُ مِنَ الْبَقِيعِ
إِلَى رَوَابِي الْقُدْسِ
تَنْطَلِقُ الْمَآذِنُ بِالنِّدَاءِ
وَيُطَلُّ وَجْهُ مُحَمَّدٍ
يَسْرِي بِهِ الرَّحْمَنُ نُورًا فِي السَّمَاءِ
اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ زَمَانِ الْعَجْزِ..
مِنْ وَهْنِ الْقُلُوبِ وَسَكْرَةِ الضُّعْفَاءِ!

ويمضي الشاعر في قصيدته التي تطرح رؤية إسلامية
للصراع العربي الإسرائيلي، وأنه لا شيء يبعث الأمل ويمحو
العجز والوهن من النفوس إلا قوة الإسلام في مواجهة
العدوان والضعف والهزيمة، ويمنح القلوب حلم الخلاص،
وينهي قصيدته بهذا الحلم الجميل:

مَا زِلْتُ أَحْلُمُ

أَنْ أَرَى فِي الْقُدْسِ يَوْمًا
صَوْتَ قُدَّاسٍ يُعَانِقُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ
وَيُطِلُّ وَجْهَهُ لِلَّهِ بَيْنَ رُبُوعِنَا
وَتَعُودُ أَرْضُ الْأَنْبِيَاءِ

لكن هذا الحلم مرهون بصحوة الأمة وارتفاع الهمة؛
لتخليص أرض الأنبياء من رجس قتلة الأنبياء.

أرض الأنبياء

فاروق جويده

مَاذَا تَبَقَّى مِنْ بِلَادِ الْأَنْبِيَاءِ؟
لَا شَيْءَ غَيْرُ النَّجْمَةِ السُّودَاءِ
تَرْتَعُ فِي السَّمَاءِ
لَا شَيْءَ غَيْرُ مَوَاكِبِ الْقَتْلِ
وَأَنَاتِ النِّسَاءِ
لَا شَيْءَ غَيْرُ سُيُوفِ دَاحِسِ الْتِي
غَرَسَتْ سِهَامَ الْمَوْتِ فِي الْغُبَرَاءِ
لَا شَيْءَ غَيْرُ دِمَاءِ آلِ الْبَيْتِ

مَا زَالَتْ تُحَاصِرُ كَرْبَلَاءُ!

فَالْكُونُ تَابُوتُ

وَعَيْنُ الشَّمْسِ مِشْنَقَةٌ

وَتَارِيخُ الْعُرُوبَةِ

سَيْفُ بَطْشٍ أَوْ دِمَاءُ!

مَاذَا تَبَقَّى مِنْ بِلَادِ الْأَنْبِيَاءِ؟

خَمْسُونَ عَامًا

وَالْحَنَاجِرُ تَمْلَأُ الدُّنْيَا ضَجِيجًا

ثُمَّ تَبْتَلَعُ الْهَوَاءَ

خَمْسُونَ عَامًا

وَالْفَوَارِسُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْخِيُولِ

تَتَنُّ فِي كَمَدٍ وَتَصْرُخُ فِي اسْتِيَاءٍ

خَمْسُونَ عَامًا فِي الْمَزَادِ

وَكُلُّ جَلَادٍ يُحَدِّقُ فِي الْغَنِيمَةِ

ثُمَّ يَنْهَبُ مَا يَشَاءُ

خَمْسُونَ عَامًا

وَالزَّمَانُ يُدَوِّرُ فِي سَأَمٍ بِنَا

فَإِذَا تَعَثَّرَ الْخُطَا

عُدْنَا نُهْرُولُ كَالْقَطِيعِ إِلَى الْوَرَاءِ

خَمْسُونَ عَامًا

نَشْرَبُ الْأَنْخَابَ مِنْ زَمَنِ الْهَزَائِمِ

نُغْرِقُ الدُّنْيَا دُمُوعًا بِالتَّعَازِي وَالرَّثَاءِ

حَتَّى السَّمَاءُ الْآنَ تُغْلِقُ بَابَهَا

سَيِّمَتْ دُعَاءَ الْعَاجِزِينَ.. وَهَلْ تُرَى

يُجْدِي مَعَ السَّفَةِ الدُّعَاءُ؟!

مَاذَا تَبَقَّى مِنْ بِلَادِ الْأَنْبِيَاءِ؟

أُتْرَى رَأَيْتُمْ كَيْفَ بَدَّلَتِ الْخُيُولُ صَهِيلَهَا
فِي مَهْرَجَانِ الْعَجْزِ..
وَاخْتَنَقَتْ بِنُوبَاتِ الْبُكَاءِ
أُتْرَى رَأَيْتُمْ
كَيْفَ تَحْتَرِفُ الشُّعُوبُ الْمَوْتَ؟
كَيْفَ تَذُوبُ عَشْقًا فِي الْفَنَاءِ؟!
أَطْفَالُنَا فِي كُلِّ صُبْحٍ
يَرُسُّمُونَ عَلَى جِدَارِ الْعُمُرِ
خَيْلًا لَا تَجِيءُ..
وَطَيْفَ قَنْدِيلٍ تَنَاطَرَ فِي الْفَضَاءِ
وَالنَّجْمَةُ السَّوْدَاءُ
تَرْتَعُ فَوْقَ أَشْلَاءِ الصَّلِيبِ
تَغُوصُ فِي دَمِ الْمَآذِنِ

تَسْرِقُ الضَّحَكَاتِ مِنْ عَيْنِ الصَّغَارِ الْأَبْرِيَاءِ
مَاذَا تَبَقَّى مِنْ بِلَادِ الْأَنْبِيَاءِ؟
مَا يَبْنِ أَوْسَلُو

وَالْوَلَائِمُ.. وَالْمَوَائِدِ وَالتَّهَانِي.. وَالْغِنَاءُ

مَاتَتْ فَلَسْطِينُ الْحَزِينَةُ

فاجتمعوا الأبناء حَوْلَ رُفَاتِهَا

وَابْكُوا كَمَا تَبْكِي النِّسَاءُ!

خَلَعُوا ثِيَابَ الْقُدُسِ

أَلْقَوْا سِرَّهَا الْمَكْنُونِ فِي قَلْبِ الْعَرَاءِ

قَامُوا عَلَيْهَا كَالْقَطِيعِ..

تَرَنَّحَ الْجَسَدُ الْهَزِيلُ

تَلَوَّثَتْ بِالْدَّمِ أَرْضُ الْجَنَّةِ الْعَذْرَاءِ

كَانَتْ تُحَدِّقُ فِي الْمَوَائِدِ وَالسُّكَارَى حَوْلَهَا

يَتَمَايَلُونَ بِنَشْوَةٍ
وَيُقَبِّلُونَ النُّجْمَةَ السَّوْدَاءَ
نَشَرُوا عَلَى الشَّاشَاتِ نَعِيًا دَامِيًا
وَعَلَى الرُّفَاتِ تَعَانَقَ الْأَبْنَاءُ وَالْأَعْدَاءُ
وَتَقَبَّلُوا فِيهَا الْعِزَاءُ!
وَأَمَامَهَا اخْتَلَطَتْ وُجُوهُ النَّاسِ
صَارُوا فِي مَلَامِحِهِمْ سَوَاءً
مَاتَتْ بِأَيْدِي الْعَابِثِينَ مَدِينَةُ الشُّهَدَاءِ!!
مَاذَا تَبَقَّى مِنْ بِلَادِ الْأَنْبِيَاءِ؟
فِي حَانَةِ التَّطْبِيعِ
يَسْكُرُ أَلْفُ دَجَالٍ وَيَبْنِ كُؤُوسِهِمْ
تَنْهَارُ أَوْطَانٌ وَيَسْقُطُ كِبَرِيَاءُ
لَمْ يَتْرُكُوا السَّمْسَارَ يَعْبَثُ فِي الْخَفَاءِ

حَمَلُوهُ بَيْنَ النَّاسِ
 فِي الْبَارَاتِ.. فِي الطُّرُقَاتِ.. فِي الشَّاشَاتِ
 فِي الْأَوْكَارِ.. فِي دُورِ الْعِبَادَةِ
 فِي قُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ
 يَتَسَلَّلُونَ عَلَى دُرُوبِ الْعَارِ
 يَنْكَفُونَ فِي صَخَبِ الْمَزَادِ
 وَيَرْفَعُونَ الرَّايَةَ الْبَيْضَاءَ!
 مَاذَا سَيَبْقَى مِنْ سُيُوفِ الْقَهْرِ
 وَالزَّمَنِ الْمُدَنَّسِ بِالْخَطَايَا
 غَيْرُ أُلْوَانِ الْبَلَاءِ؟!
 مَاذَا سَيَبْقَى مِنْ شُعُوبِ
 لَمْ تَعُدْ أَبَدًا تُفَرِّقُ
 بَيْنَ بَيْتٍ لِلصَّلَاةِ وَبَيْنَ وَكْرِ الْبَغَاءِ؟!

النَّجْمَةُ السَّوْدَاءُ
 أَلْقَتْ نَارَهَا فَوْقَ النَّخِيلِ
 فغَابَ ضَوْءُ الشَّمْسِ..
 جَفَّ الْعُشْبُ
 واخْتَنَقَتْ عُيُونُ الْمَاءِ
 مَاذَا تَبَقَّى مِنْ بِلَادِ الْأَنْبِيَاءِ؟
 مَاتَتْ مِنَ الصَّمْتِ الطَّوِيلِ خُيُولُنَا الْخَرَسَاءُ
 وَعَلَى بَقَايَا مَجْدِهَا الْمَصْلُوبِ تَرْتَعُ نَجْمَةُ سَوْدَاءِ
 فَالْعَجْزُ يَحْصُدُ بِالرَّدَى أَشْجَارَنَا الْخَضِرَاءُ
 لَا شَيْءَ يَبْدُو الْآنَ يَبْنِي رُبُوعَنَا
 غَيْرُ الشَّتَاتِ وَفُرْقَةِ الْأَبْنَاءِ
 وَالذَّهْرُ يَرْسُمُ صُورَةَ الْعَجْزِ الْمُهِينِ لِأُمَّةٍ
 خَرَجَتْ مِنَ التَّارِيخِ

واندفعتُ تَهْرُولُ كالْقَطِيعِ إِلَى حِمَى الْأَعْدَاءِ
 فِي عَيْنِهَا اخْتَلَطَتْ
 دِمَاءُ النَّاسِ وَالْأَيَّامِ وَالْأَشْيَاءِ
 سَكَنْتُ كُھُوفَ الضَّعْفِ
 وَاسْتَرْخَتْ عَلَى الْأَوْهَامِ
 مَا عَادَتْ تَرَى الْمَوْتَى مِنَ الْأَحْيَاءِ
 كُھَانُهَا يَتَرَنَّحُونَ عَلَى دُرُوبِ الْعَجْزِ
 يَنْتَفِضُونَ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْإِعْيَاءِ!
 مَاذَا تَبَقَّى مِنْ بِلَادِ الْأَنْبِيَاءِ؟
 مِنْ أَيِّ تَارِيخٍ سَنَبْدُ
 بَعْدَ أَنْ ضَاقَتْ بِنَا الْأَيَّامُ
 وَانْطَفَأَ الرَّجَاءُ؟!
 يَا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ عُودِي بِالضِّيَاءِ

يَتَسَلَّلُ الضُّوْءُ الْعَنِيدُ مِنَ الْبَقِيعِ
إِلَى رَوَابِي الْقُدْسِ
تَنْطَلِقُ الْمَآذِنُ بِالنِّدَاءِ
وَيُطَلُّ وَجْهُ مُحَمَّدٍ
يَسْرِي بِهِ الرَّحْمَنُ نُورًا فِي السَّمَاءِ
اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ زَمَانِ الْعَجْزِ..
مِنْ وَهْنِ الْقُلُوبِ وَسَكْرَةِ الضُّعْفَاءِ
اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ سُيُوفِ خَانِهَا
غَدْرُ الرَّفَاقِ وَخِسَّةُ الْأُبْنَاءِ!
جِلْبَابُ مَرْيَمَ لَمْ يَزَلْ
فَوْقَ الْخَلِيلِ يُضِيءُ فِي الظُّلَمَاءِ
فِي الْمَهْدِ يَسْرِي صَوْتُ عِيسَى
فِي رُبُوعِ الْقُدْسِ نَهْرًا مِنْ نَقَاءِ

يَا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ عُودِي بِالضِّيَاءِ
هُزِّي بِجَذَعِ النَّخْلَةِ الْعَذْرَاءِ
يَتَسَاقَطُ الْأَمَلُ الْوَلِيدُ
عَلَى رُبُوعِ الْقُدْسِ
تَنْتَفِضُ الْمَآذِنُ.. يُبْعَثُ الشُّهَدَاءُ
تَتَدَفَّقُ الْأَنْهَارُ.. تَشْتَعِلُ الْحَرَائِقُ..
تَسْتَغِيثُ الْأَرْضُ..
تَهْدِرُ ثَوْرَةُ الشُّرَفَاءِ
يَا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ عُودِي بِالضِّيَاءِ
هُزِّي بِجَذَعِ النَّخْلَةِ الْعَذْرَاءِ
رَغَمَ اخْتِنَاقِ الضُّوءِ فِي عَيْنِي
وَرَغَمَ الْمَوْتِ وَالْأَشْلَاءِ
مَا زِلْتُ أَحْلُمُ أَنْ أَرَى قَبْلَ الرَّحِيلِ

رَمَادَ طَاغِيَةٍ تَنَاطَرَ فِي الْفَضَاءِ
مَا زِلْتُ أَحْلُمُ أَنْ أَرَى فَوْقَ الْمَشَانِقِ
وَجْهَ جَلَّادٍ قَبِيحِ الْوَجْهِ تَصْفَعُهُ السَّمَاءُ
مَا زِلْتُ أَحْلُمُ أَنْ أَرَى الْأَطْفَالَ
يَقْتَسِمُونَ قُرْصَ الشَّمْسِ
يَخْتَبِئُونَ كَالْأَزْهَارِ فِي دِفْءِ الشِّتَاءِ
مَا زِلْتُ أَحْلُمُ أَنْ أَرَى وَطَنًا يُعَانِقُ صَرْخَتِي
وَيُثَوِّرُ فِي شَمَمٍ وَيَرْفُضُ فِي إِبَاءٍ
مَا زِلْتُ أَحْلُمُ
أَنْ أَرَى فِي الْقُدْسِ يَوْمًا
صَوْتَ قُدَّاسٍ يُعَانِقُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ
وَيُطِلُّ وَجْهَهُ اللَّهُ بَيْنَ رُبُوعِنَا
وَتَعُودُ أَرْضُ الْأَنْبِيَاءِ

القدس في دمنّا

وفي قصيدةٍ أُخرى للشاعر فاروق جويدة بعنوان: «لأنّك
عُشيتَ في دمنّا»، تُطالِعُنَا القُدُسُ بتاريخِها وَبَبْصَاتِ قُلُوبِ
أَهْلِها، وتلكَ الأرواحُ المحزونةُ كُرُوحِ حبيبٍ جريحٍ فارقَ
مَحَبُوبَتَهُ، ثُمَّ هَا هُوَ يَرَاهَا، يَنْظُرُ فِي عَيْنَيْهَا فلا يَرى سِوَى جُرْحِ
غائرٍ في الأعماقِ، وحُلُمٍ ضائعٍ، وزَمانٍ قد وَلَّى بِكُلِّ ما كانَ
من حُبٍّ وَمِنْ أُمْنِياتٍ، وَوَطَنٍ بلا مَلامِحَ:

حِينَ نَظَرْتُ فِي عَيْنَيْكَ
لَا حَ الْجُرْحُ وَالْأَشْوَاقُ وَالذِّكْرَى
تَعَانَقْنَا.. تَعَانَقْنَا

وَنَارَ الشَّوْقِ فِي الْأَعْمَاقِ
شَلًّا لَا تَفْجَرُ فِي جَوَانِحِنَا

فأصْبَحَ شَوْقُنَا نَهْرًا
زَمَانًا ضَاعَ مِنْ يَدِنَا
وَلَمْ نَعْرِفْ لَهُ أَثَرًا
تَبَاعَدُنَا.. تَشَرَّدُنَا
فَلَمْ نَعْرِفْ لَنَا زَمَنًا
وَلَمْ نَعْرِفْ لَنَا وَطَنًا

ولَكِنَّ هَذِهِ الْجِرَاحَ الْأَلِيمَةَ وَإِنْ تَطَاوَلَتْ أَزْمَنُ الْقَهْرِ
وَالْعَجْزِ وَالْهَزِيمَةِ، لَنْ تَقُودَ إِلَى النَّسْيَانِ، كَيْفَ وَالْحَبِيبَةُ تَجْرِي
مَعَ الدَّمِ؟

لَأَنَّكَ عَشْتِ فِي دَمِنَا وَلَنْ نَنْسَاكَ
رَغَمَ الْبُعْدِ
كُنْتَ أَنْيَسَ وَحُشْتَنَا
وَكُنْتَ زَمَانَ عَفَّتَنَا
وَأَعْيَادًا تُجَدِّدُ فِي لِيَالِي الْحُزَنِ فَرَحَتَنَا

وَنَهْرًا مِنْ ظِلَالِ الْغَيْبِ يَرُونَا.. يُطَهِّرُنَا
وَكُنْتَ شُمُوحَ قَامَتِنَا

ثُمَّ تَتَلَاشَى نَعْمَةُ الْحُزَنِ، وَتَتَصَاعَدُ شَيْئًا فَشَيْئًا رُوحَ الْعَزَمِ
وَالْإِصْرَارِ وَالْمُقَاوِمَةِ، مُسْتَمِدَّةً زَادًا رُوحِيًّا مِنَ الْمَقْدَسَاتِ
وَالرُّمُوزِ الدِّينِيَّةِ: الْقُرْآنِ وَالْمَآذِنِ وَالصَّلَوَاتِ:

وَلَنْ نَنْسَاكَ يَا قُدُّسُ
سَتَجْمَعُنَا صَلَاةُ الْفَجْرِ فِي صَدْرِكَ
وَقُرْآنُ تَبَسُّمٍ فِي سَنَا ثَغْرِكَ

كُلُّ هَذِهِ عَوَامِلُ دَافِعَةٍ إِلَى التَّوْحِيدِ مِنْ أَجْلِ الْمُقَاوِمَةِ،
سَيَجْمَعُنَا قُرْآنُنَا وَمَآذِنُنَا وَمُقَدَّسَاتُنَا:
وَيَجْمَعُنَا.. وَيَجْمَعُنَا.. وَيَجْمَعُنَا..
وَلَنْ نَنْسَاكَ.. لَنْ نَنْسَاكَ يَا قُدُّسُ!!

لَأَنَّكَ عَشْتِ فِي دَمِنَا

فاروق جويده

حِينَ نَظَرْتُ فِي عَيْنَيْكَ
لَا حَ الْجُرْحُ وَالْأَشْوَاقُ وَالذِّكْرَى
تَعَانَقْنَا.. تَعَانَقْنَا
وَنَارَ الشَّوْقِ فِي الْأَعْمَاقِ
شَلَالًا تَفَجَّرَ فِي جَوَانِحِنَا
فَأَصْبَحَ شَوْقُنَا نَهْرًا
زَمَانًا ضَاعَ مِنْ يَدِنَا
وَلَمْ نَعْرِفْ لَهُ أَثَرًا
تَبَاعَدْنَا.. تَشَرَّدْنَا

فَلَمْ نَعْرِفْ لَنَا زَمَنًا
 وَلَمْ نَعْرِفْ لَنَا وَطَنًا
 تُرَى مَا بَالُنَا نَبْكِي
 وَطَيْفُ الْقُرْبِ يَجْمَعُنَا؟
 وَمَا يُبْكِيكَ.. يُبْكِينِي
 وَمَا يُضْنِيكَ.. يُضْنِينِي!
 تَحَسَّسْتُ الْجَرَاحَ.. رَأَيْتُ جُرْحًا
 بِقَلْبِكَ عَاشَ مِنْ زَمَنٍ بَعِيدٍ
 وَآخَرَ فِي عُيُونِكَ ظِلٌّ يَدْمَى
 يُلَطِّحُ وَجَنَّتَيْكَ.. وَلَا يُرِيدُ
 وَأَثْقَلُ مَا يَرَاهُ الْمَرْءُ جُرْحُ
 يَعْلُ عَلَيْهِ فِي أَيَّامِ عِيدٍ
 وَجُرْحُكَ كُلُّ يَوْمٍ كَانَ يَصْحُو

وَيَكْبُرُ ثُمَّ يَكْبُرُ فِي ضُلُوعِي
 دِمَاءُ الْجَرَحِ تَصْرُخُ بَيْنَ أَعْمَاقِي
 وَتَنْزِفُهَا دُمُوعِي
 لِأَنَّكَ عَشْتِ فِي دِمْنَا وَلَنْ نَنْسَاكَ
 رَغَمَ الْبُعْدِ
 كُنْتُ أَنِيسَ وَحُشْتِنَا
 وَكُنْتُ زَمَانَ عَفَّتِنَا
 وَأَعْيَادًا تُجَدِّدُ فِي لِيَالِي الْحَزَنِ فَرَحَتْنَا
 وَنَهْرًا مِنْ ظِلَالِ الْغَيْبِ يَرَوِينَا.. يُطَهِّرُنَا
 وَكُنْتُ شُمُوحَ قَامَتِنَا
 نَسِينَاكَ!!
 وَكَيْفَ وَأَنْتِ رَغَمَ الْبُعْدِ
 كُنْتُ غَرَامَنَا الْأَوَّلُ

وَكُنْتَ الْعِشْقَ فِي زَمَنِ نَسِينَا فِيهِ
طَعَمَ الْحُبِّ وَالْأَشْوَاقِ وَالنَّجْوَى
وَكُنْتَ الْأَمْنَ حِينَ نَصِيرُ أَغْرَابًا بِلا مَأْوَى؟
وَحِينَ نَظَرْتُ فِي عَيْنَيْكَ
عَادَ اللَّحْنُ فِي سَمْعِي
يُذَكِّرُنِي.. يُحَاصِرُنِي.. وَيَسْأَلُنِي
يُجِيبُ سُؤَالَهُ دَمْعِي
تَذَكَّرْنَا أَغَانِينَا
وَقَدْ عَاشَتْ عَلَى الطُّرُقَاتِ مصلوبة
تَذَكَّرْنَا أَمَانِينَا
وَقَدْ سَقَطَتْ مَعَ الْأَيَّامِ مَغْلُوبَةً
تَلَاقَيْنَا وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ عَرَفُوا حِكَايَتَنَا
وَكُلُّ الْأَرْضِ قَدْ فَرِحَتْ بَعُودَتَنَا

وَلَكِنْ بَيْنَنَا جُرْحٌ..
 فَهَذَا الْجُرْحُ فِي عَيْنَيْكَ شَيْءٌ لَا تُدَارِيهِ
 وَجُرْحِي.. آه مِنْ جُرْحِي
 قَضَيْتُ الْعُمْرَ يُؤْلَمُنِي وَأُخْفِيهِ
 تَعَالَى بَيْنَنَا شَوْقٌ طَوِيلٌ..
 تَعَالَى كَيْ أَلْمَمَ فِيكَ بَعْضِي
 أَسَافِرُ مَا أَرَدْتُ وَفِيكَ قَبْرِي
 وَلَا أَرْضَى بِأَرْضٍ غَيْرِ أَرْضِي
 وَحِينَ نَظَرْتُ فِي عَيْنَيْكَ
 صَاحَتْ بَيْنَنَا الْقُدُسُ
 تَعَاتَبْنَا وَتَسَأَلْنَا
 وَيَصْرُخُ خَلْفَنَا الْأَمْسُ:
 هُنَا حُلْمٌ نَسِينَاهُ

وَعَهْدُ عَاشٍ فِي دَمِنَا طَوِينَاهُ
وَأَحْزَانُ وَأَيْتَامُ
وَرَكْبُ ضَاعَ مَرَسَاهُ
أَلَا وَاللَّهِ مَا بَعْنَاكَ يَا قُدُّسُ
فَلَا سَقَطَتْ مَآذُنُنَا
وَلَا انْحَرَفَتْ أَمَانِينَا
وَلَا ضَاقَتْ عَزَائِمُنَا
وَلَا بَخِلَتْ أَيَْادِينَا
فَنَارُ الْجُرْحِ تَجْمَعُنَا
وَتَوْبُ الْيَأْسِ يُشْقِينَا
وَلَنْ نَنْسَاكَ يَا قُدُّسُ
سَتَجْمَعُنَا صَلَاةُ الْفَجْرِ فِي صَدْرِكَ
وَقُرْآنُ تَبَسُّمٍ فِي سَنَا ثَغْرِكَ

وَقَدْ نَنَسَى أَمَانِنَا
وَقَدْ نَنَسَى مُحِبِّينَا
وَقَدْ نَنَسَى طُلُوعَ الشَّمْسِ فِي غَدِنَا
وَقَدْ نَنَسَى غُرُوبَ الْحُلُمِ مِنْ يَدِنَا
وَلَنْ نَنَسَى مَا ذَنَنَا
سَتَجْمَعُنَا دِمَاءٌ قَدْ سَكَبْنَاهَا
وَأَحْلَامٌ حَلَمْنَاهَا
وَأَمْجَادٌ كَتَبْنَاهَا
وَأَيَّامٌ أَضَعْنَاهَا
وَيَجْمَعُنَا.. وَيَجْمَعُنَا.. وَيَجْمَعُنَا..
وَلَنْ نَنْسَاكَ.. لَنْ نَنْسَاكَ يَا قُدُّسُ!!

* * *

قالت الأعراب آمناً!

وحين وصلت مفاوضات الاستسلام إلى ذروتها في شرم الشيخ كتب الشاعر السعودي إبراهيم محمد إبراهيم «ورقة متأخرة إلى شرم الشيخ»، ينعي فيها على العرب هَرَوَلَتَهُمْ إلى سلامٍ يتسوّلونه من الأمم المتحدة والولايات المتحدة وإسرائيل وحلفائها، ويولُّون ظهورهم إلى القدس والمقدسات.

وقد آثر الشاعر أن يبدأ قصيدته بهذه الآية الدّالة التي تُجسّد الموقف العربيّ المهيّن:

«قالت الأعرابُ آمناً»..

فما باعوا مطاياهم

وما شَدُّوا على الجُوعِ حِزَما

وتتوالى هجائيَّة الشاعر للنظم العربية التي آثرت الاستسلام
والخضوع حتى أفنعت شعوبها بالإذعان، ولكن إلى حين،
فهذه الأُمَّة لا تموت فيها روح المقاومة:

إِنَّا أُمَّةٌ، تَغْسِلُ بالموتِ خطاياها
ولا تُذعنُ،

مهما كانَ شَرُّمُ الشَّيْخِ روميًّا..!!

وذلك لأن الشهيد والفدائي والنخلة والقدس كلّها قد
توحّدت في رمزٍ واحدٍ يُمثِّلُ شرف الأمة وروح المقاومة،
يقول الشاعر:

دَعِ النَّخْلَةَ تُلْقِي ظِلَّهَا الوَارِفَ
أَكْفَانًا على القُدُسِ
فَقَدْ أَلْقَيْتُ رُوحِي قَبْلَهَا في النِّيلِ،

وَاخْتَرْتُ مِنَ الْحُورِ اللَّوَاتِي
مَسَّهُنَ الضَّرُّ فِي الْأَرْضِ
وَمَا سَاوَمَنَ فِي حَبَّةِ قَمْحٍ.

ويستمر الشاعر في سرد مأساة ضياع القدس، وما خيم على
الأمّة من عجز وهوانٍ حتى ضاق بها الكون وصارت «صفحة
سوداء في إضبارة الدَّهْرِ»، ولكن روح المقاومة والنضال في
نفوس أبناء الأمّة ما زالت تدفعهم إلى الموت:

أَجَلُ إِنَّا نُحِبُّ الْمَوْتَ،
حَتَّى تَطْفَحَ الْبُرُ بِمَا فِيهَا...
وَتُلْقَى رَايَةُ الْأَعْرَابِ
وَالْحَاخَامُ فِي الْبُرِّ!

إنّه طابعٌ عامٌ يَطْبَعُ شعر المقاومة العربيّ؛ ويُجَسِّدُ تعدد
أشكال المقاومة: مقاومة العدو، ومقاومة النظم الفاسدة،
ومقاومة روح العجز والهزيمة:

مَهُمَا قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا
بِفَتْحِ الْبَابِ
لِلْخَفَاشِ وَالْعَنْقَاءِ وَالنَّسْرِ!

فَالْمَحْتَلُّ عَدُوٌّ، وَالْكَذِبَةُ وَالْخَوْنَةُ أَعْدَاءُ، وَقَدْ جَسَّدَ الشَّاعِرُ
صُورَةَ هَؤُلَاءِ الْخَوْنَةِ وَالْكَذِبَةِ فِي صُورَةِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ قَالُوا
آمَنَّا، وَلَكِنْ بَفَتْحِ الْبَابِ لِلْخَفَاشِ وَالْعَنْقَاءِ وَالنَّسْرِ!

ورقة متأخرة إلى شرم الشيخ

إبراهيم محمد إبراهيم

«قالت الأعرابُ آمَنَّا»..

فما باعوا مطاياهم

وما شدُّوا على الجوعِ حزامًا!

وهوى النّجمُ،

فما أغروه بالمُكثِ

وما هبُّوا من السَّهلِ،

إذ انهارَ بنا الطُّودُ قياما

ودعا الدّاعي،

فكانوا آخرَ الرُّكبِ

وراء وأماما!
 أيُّها الحادي،
 أَمَا فِي الْأُفُقِ بَرْقُ،
 يَقْدَحُ الْكَوْنِ دَوِيًّا وَغَمَامًا؟
 خَيْمَ اللَّيْلِ،
 فَكُنَّا صَمْتَهُ الْمُطْبِقَ
 إِلَّا صَرْخَةً تَذْوِي بِأُودَاجِ الشَّكَالِي
 وَبَقَايَا غُصَّةٍ تَحْبُو عَلَى الْقَلْبِ
 وَنَفْسًا فَاتَهَا الدَّهْرُ عَظَامًا!
 أيُّها الحادي،
 إِذَا مَا أُتَخِمَ الرَّمْلُ بِأَحْلَامِ الطَّوَاوِيسِ
 وَغَصَّ الْعُشْبُ بِالدَّمْعِ،
 فَأَيُّ اللَّحْنِ يُنْجِيكَ مِنَ الرُّومِ؟

وَأَيُّ الصَّمْتِ يَحْمِيكَ مِنَ الرَّمْلِ؟
وَإِنْ كُنْتَ تَنَاهَيْتَ حَنِينًا وَهُيَامًا!
قَدَرُ اللَّهِ،

بَأَنْ تَسْكُنَ كَالرَّيْحِ
«بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ»
بِقَلْبٍ يَافِعٍ يَهْفُو إِلَى الْقَطْرِ
لِتَنْمُو بَيْنَ جَدْبَيْنِ
يَسُومَانِكَ كِفْلَيْنِ مِنَ الْقَحْطِ
لَمَّا أَعْلَنْتَ فِي الْأَعْرَابِ
لَمَّا آثَرَ الْجَهْلَ أَبُو جَهْلٍ
وَأَثَرَتِ الْبَوَارِيدُ

وَأَرْخَيْتَ إِلَى اللَّهِ الْخِطَامَا!
كُلْنَا حَادٍ،

دَعِ النَّحْلَةَ تُلْقِي ظِلَّهَا الْوَارِفَ فِي الْقَلْبِ
فَإِنَّا أُمَّةٌ، تَمْتَدُّ كَالظِّلِّ

إِذَا مَالَ بِهَا الْوَقْتُ

وَكَالنَّحْلَةِ،

لَا تَطْرُبُ إِلَّا تَحْتَ جَمْرِ الْقَيْظِ
إِنَّا أُمَّةٌ، تَغْسِلُ بِالْمَوْتِ خَطَايَاهَا
وَلَا تُدْعِنُ،

مَهْمَا كَانَ شَرُّهُ الشَّيْخِ رُومِيًّا..!

دَعِ النَّحْلَةَ تُلْقِي ظِلَّهَا الْوَارِفَ
أَكْفَانًا عَلَى الْقُدْسِ

فَقَدْ أُلْقِيَتْ رُوحِي قَبْلَهَا فِي النَّيْلِ،

وَاخْتَرْتُ مِنَ الْحُورِ اللَّوَاتِي

مَسَّهْنَ الضُّرَّ فِي الْأَرْضِ

وما ساوَمَنَ في حَبَّةِ قَمْحٍ .
كُلْنَا حَادٍ ،
وهذا اللَّحْنُ لَا يَفْتُرُ
مَهُمَا فَتَكَ الثَّلْجُ بِأَقْدَامِ مَطَايَا
فَنَيْنَا فِيهِ أَنْغَامًا !
وَأَفْنَيْنَا فُصُولًا لَا تَفِي بِالْعَهْدِ
حَتَّى ضَحِكَ الْوَرْدُ
فَكُنَّا لَوْنَهُ الزَّاهِي ..
أَتَيْنَا مِنْ لَهَيْبِ الْوَقْتِ
نَجْتَرُّ مَرَايَا بِلَا وَجْهِ
تَوَحَّدْنَا بِهِ ،
بَعْدَ نُضُوجِ اللَّوْزِ ،
صَرْنَا وَجْهَهُ الْبَاهِي .

أَتَيْنَا
كَيْ نُعِيدَ الزَّيْتَ لِلزَّيْتُونِ
قَبْلَ الْقَطْفَةِ الْأُولَى.
وَنُلْقِيَ جَمْرَةَ اللَّهِ
عَلَى الْأَرْضِ
لَقَدْ ضَاقَ بِنَا الْكَوْنُ
وَمَا زِلْنَا نُنْغِي عَوْدَةَ الطَّيْرِ
الَّذِي يَأْكُلُهُ الْمَنْفَى..
شَرِبْنَا الْبَحْرَ مَرَّاتٍ
عَلَى بَوَابِ النَّهْرِ
فَمَا قَرَّبَنَا الْمِلْحُ
إِلَى اللَّاتِ وَلَا الْعُزَّى،
وَلَمَّا اسْوَدَّ وَجْهُ الْعُرْبِ

صِرْنَا صَفْحَةً سَوْدَاءَ
 فِي إِضْبَارَةِ الدَّهْرِ.
 أَجَلُ إِنَّا نُحِبُّ الْمَوْتَ،
 حَتَّى تَطْفَحَ الْبُرُ بِمَا فِيهَا..
 وَتُلْقَى رَايَةُ الْأَعْرَابِ
 وَالْحَاخَامُ فِي الْبُرِّ!
 أَجَلُ إِنَّا نُحِبُّ الْمَوْتَ،
 حَتَّى تَرْتَوِي الْأَحْجَارُ
 بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْقَبْرِ.
 أَجَلُ إِنَّا نُحِبُّ الْمَوْتَ
 فِي الْإِصْبَاحِ وَالْإِمْسَاءِ وَالْفَجْرِ.
 نُحِبُّ الْمَوْتَ،
 مَهْمَا قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا

بِفَتْحِ الْبَابِ
لِلْخَفَاشِ وَالْعَنْقَاءِ وَالنَّسْرِ!

* * *

الوعد لنا

لعلّ من عجائب الأقدار أن تكون آخر قصيدة سطرتها
الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان قبل رحيلها بعنوان «الأغنية
الوصية»، وقد أهدتها: (إليهم وراء القضبان.. إلى بناتنا وأبنائنا
الذين التهمتهم السجون في إسرائيل وفي كل مكان).

تبدأ الشاعرة قصيدتها بتمجيد نضال الشعب الفلسطيني،
على لسان فدائية مقبلة على الاستشهاد، وهي تخطُّ بدمها
وصيتها لإخوتها؛ داعية إلى حمل راية الثورة ومواصلة الكفاح
لتحرير القدس، وتوحيد الأمة في كيانٍ واحدٍ يزحف لتحرير
الأرض والمقدسات، وتُنهي اللوحة الأولى هكذا:

فتح أنا
أنا جبهة

أنا عاصفة!

ثم تتوالى المقاطع الأربعة التالية في صورة يوميات منتزعة
من مفكرة أسير فلسطيني / أسيرة فلسطينية.

ولعلَّ الشاعرة فدوى طوقان هي أكثر الشعراء العرب
اهتمامًا بتجسيد البطولات النسائية والتعبير عن مشاعر نساء
فلسطين، فقد جاءت اللوحة الأولى من القصيدة على لسان
فدائية تلقي وصيتها الأخيرة، وجاءت اللوحة الثانية بعنوان:
«من مفكرة رندة» وهي أسيرة في أحد سجون الاحتلال
الإسرائيلي تتوجَّع في منتصف الليل؛ حيث يخيم جوُّ كابوسيٍّ
يشبه الجحيم وتَلْقَى فيه آلامًا لا تحتمل، ولكنها تهمس بصوتٍ
واثقٍ بعدالة قضيته:

تَوَحَّشي ما شئت يا
شَرَّاسَةَ الأَوْجَاعِ
فَلَنْ يَنْزِلَ مِنْ دَمِي جَوَابُ!

وتأتي اللوحة الثالثة بعنوان: «من مفكرة سجين مجهول

مكانِ السجن»؛ حيث الظلمة والليل الأبدِي والصمت العميق، والزمان قد توقَّف وتسمَّر فوق جدار الزنزانة وعلى وجه السجَّان الحجريِّ، ولكنَّ ثَمَّة أملٌ يُومِضُ في نهاية سطور ذلك السجين المجهول مكانه:

خَلَفَ حدود الليل

تظل خيل الوقت في سباقها

تركُضُ نحوَ موطنِ الحُلُمِ

خلف حدود الليل

الشمس في انتظارنا

تُطلُّ والقمر!

وتأتي اللوحة الرابعة بعنوان: «من مفكرة هبة»، وهي تجسيدٌ رائعٌ للحظة حنينٍ جارٍ إلى حضن أمِّها، واللحظات التي سبقت انتزاعها منه قُبَيْلَ اعتقالها، وتَرى الآنَ وجه أمِّها الحزين وقد خِيَمَتْ على الدَّارِ وحشةٌ وكآبةٌ ورَأَنَ الغبار عليه، ولكن - في لمسة أنثوية رقيقة - تُنهي الشاعرة هذه اللوحة بشيءٍ يشبه الأمل؛ حيث تمتدُّ يدُ الأمِّ إلى معطف ابنتها الأسيرة

تنفض عنه الغبار، وتَسْمَعُ الأسيرةُ دَقَّاتِ قَلْبِ أُمِّهَا وخلجات
أنفاسِها، وتستغرق في تأمُّل هذا الوجه الحنون وذلك الحضن
الدافئ.

وفي اللوحة الخامسة «من مفكرة تيسير»، تختتم الشاعرة
أغنيتها الوصية؛ حيث تطوف بنا بين حدائق الزيتون، الذي
هو رمزٌ للسلام، وزيته رمزٌ للنور المبارك، وتُخاطِبُ حامل
القنديل المشتعل بزي الزيتون:

يا حَامِلَ القِنْدِيلِ
الزيت وَفُرِّ، أطعم القنديل
ارفعهُ للسَّارِينِ
ارفعهُ مِثْلَ الشَّمْسِ
فالوَعْدُ لُقْيَا في رَبِّي حَظِيْنُ
والوَعْدُ لُقْيَا في جبال القدس!

هكذا مهما كانت قتامة الصورة، دائماً نجد في شعر
المقاومة تلك الروح المتشبَّهة بالأمل، المتسلَّحة بالإيمان.

يا إخوتي
بدمي أخطُ وصيتي
أنْ تحفظوا لي ثورتي
بدمائكم
بجموعٍ شعبي الزاحفةُ
فتحُ أنا
أنا جبهةُ
أنا عاصفةُ!

❖ ❖ ❖
(٢)

من مفكرة «رندة»:
في نصف الليل.. آه!
حذاؤه يدقُّ في الدهليز.. آه!
مُبْتَدِعُ التعذيبِ

آتٍ وَتُدْنِينِي خُطَاهُ
من غرفة التحقيق.. آه!
آتٍ وَتُدْنِينِي خُطَاهُ
من زمن الكابوس والجحيم والصراع
حذاؤه يَدُقُّ في الدهليز
دمي يدقّ وعروقي والنخاع
تَوَحَّشِي مَا شِئْتُ يَا
شَرَّاسَةَ الْأَوْجَاعِ
فَلَنْ يَنْزَّ مِنْ دَمِي جَوَابُ!

❖ ❖ ❖
(٣)

«من مفكرة سجين مجهول مكان السجن»:
مَنْ الْفَجَاجِ يَطْفَحُ الظَّلَامُ عَابِسًا صَمُوتَ
وَاللَّيْلُ نَاصِبٌ هُنَا شِرَاعُهُ الْكَبِيرُ

لَا زَحْفُ ضَوْءِ النِّجْمِ وَاجِدُ طَرِيقَهُ وَلَا
تَسْلَلُ الشُّرُوقُ

لَيْلُ بَلَا شَقُوقُ

يُضِيعُ فِيهِ الصَّوْتُ وَالصَّدَى يَمُوتُ

الْوَقْتُ فَاقْدِ هُنَا نَعْلَيْهِ وَاقِفُ

تَخْتَلِطُ الْأَيَّامُ وَالْفُصُولُ

تُرَاهُ مَوْسِمَ الْبَذَارِ؟

تَرَاهُ مَوْسِمَ الْحَصَادِ؟

تَرَاهُ؟

مَنْ يَقُولُ؟

لَا خَبَرَ

وَيَقِفُ السَّجَّانُ وَجْهَهُ حَجَرُ

وَعَيْنُهُ حَجَرُ

يسلبُ منّا الشمسَ يسلبُ القمرُ

خلفَ حدودِ الليلِ

تظلُّ خيلُ الوقتِ في سباقِها..

ترْكُضُ نحوَ موطنِ الحلمِ..

خلفَ حدودِ الليلِ

الشمس في انتظارنا تُطلُّ والقمر



(٤)

من مفكرة «هبة»:

يَحُومُ هُنَا طَيْفُ أُمِّي يَحُومُ

تُشِعُّ بَعِينِي جِبْهَةُ أُمِّي كُضُوءِ النُجُومِ

عساها تفكرُ بي الآن.. تحلم

قُبَيْلَ اعتقالي

رَسَمْتُ حُرُوفًا عَلَى دَفْتَرِ

جديد عتيق..

رَسَمْتُ عليه وروداً

رَوَتْهَا دماءُ العقيقِ

وكانتُ بجنبي أمي

تُبَارِكُ رسمي..

أراها

على وجهها الآن صمتٌ ووحدة

وفي الدار صمتٌ ووحدة

حقيقة كتبي هناك على رفٍّ مكتب

ومعطف مدرستي عالقٌ فوق مشجب

أرى يدها الآن تمتدُّ، تنفض عنه الغبار

أتابع خطوات أمي

واسمع تفكير أمي

أَتَوْقُ إِلَى حُضْنِ أُمِّي وَوَجْهِ النَّهَارِ



(٥)

من مفكرة «تيسير»:

يا هذه الجدرانُ

الإخوةُ الأحبابُ والأهلونُ

ما يفعلونَ الآن؟

لعلَّ قاطفي الزيتونِ يَقْطِفُونُ

لعلَّ زيتونَ الجبالِ

يئنُّ بينَ فكيِّ المَعَاصِرِ

لعلَّ دَمَهُ يَسِيلُ..

يا حاملَ القنديلِ

الزيتِ وفرُّ، أطعمِ القنديلِ

وارفعهُ للسَّارينِ

ارْفَعُهُ مِثْلَ الشَّمْسِ
فَالْوَعْدُ لُقْيَا فِي رَبِّي حَاطِينَ
وَالْوَعْدُ لُقْيَا فِي جِبَالِ الْقُدْسِ!

* * *

خاتمة

كانت تلك القصائد نماذج من شعر المقاومة الذي ارتبط بالقدس والقضية الفلسطينية: القضية الأم للعرب والمسلمين، ولا عجب أن تستحوذ القدس على اهتمام الشعراء عبر العصور؛ كيف لا وهي أولى القبلتين وثالث الحرمين وأرض الأنبياء؟!

وهكذا كانت الكلمة شريكاً في المقاومة جنباً إلى جنب مع الرصاصة والحجر والصدور العارية في وجه أدوات القمع وأسلحة العدوان.

وكما هو واضحٌ جليٌّ في النماذج المختارة من شعر المقاومة الفلسطينية فقد تميّز هذا الشعر بخصائص فارقة على مستوى التشكيل الفني، وعلى مستوى المضمون الفكريّ.

فعلى مستوى المضمون، نجد هذا التلاحم بين الفكر

والعاطفة؛ ذلك أن قضية القدس ليست مجرد حقّ سليب، بل قضية هويّة الإنسان العربيّ والمسلم، وهي في أعماق روحه، ماثلة في عقله ووجدانه وضميره، تقصف إسرائيل مآذن القدس فتتهزّز مآذن الأردن ومصر واليمن... وتهتزّ قلوب العرب جميعاً، وترتفع حناجر الشعراء بالصراخ أو بالهمس.. كما تميّز هذا الشعر بسيطرة عاطفة الحزن وعاطفة الغضب والثورة.

أما على مستوى التشكيل الفني، فقد تميز هذا الشعر في كثير من نماذجه بالنزوع إلى الخطابية والمباشرة؛ لأن قضية القدس لا تحتمل الهمس بالكلمات الخافتة، بل تحتاج إلى تعبير قويّ يكون صدّى لقوة عواطف الثورة والغضب.

كما تميزت قصائد المقاومة بالطول النسبيّ في أغلب النماذج؛ وذلك لكي تتسع لعرض جوانب القضية والأحداث المصاحبة لها.

ومن الخصائص الفنيّة المميّزة لشعر المقاومة، سهولة الألفاظ، وهذا بديهيّ؛ لأن الشاعر إنما يخاطب بهذا الشعر الجماهير العريضة في أرجاء الوطن العربي.

ومن أبرز الخصائص الفنية لشعر المقاومة، كثرة التضمين والتناصّ مع الموروث العربي والإسلامي، وكان للقرآن والحديث حضور بارز في جُلِّ هذا الشعر، وهذا طبعاً أيضاً؛ لأنَّ الإسلام هو الدافع الأوَّل للمقاومة، فالقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

كما اقتبس شعر المقاومة من معين الحكمة والأمثال العربية والفلكلور العربي؛ بحيث جاء كثير من هذا الشعر بمثابة معرضٍ للفكر العربي بكل تمثيلاته الدينية والتاريخية والسياسية، في امتزاج عميق مع الوجدان الجمعي لأبناء الأمة الإسلامية، كما كثر استدعاء الرموز الدينية والتاريخية، وبخاصة تلك التي ارتبطت بالانتصارات العربية والإسلامية على اليهود خاصة، بوصفها تجسيداً لروح الأمة وقدرتها على المقاومة، ولنردّد مع فدوى طوقان:

الْوَعْدُ لُقْيَا فِي رَبِّي حَظِينُ
وَالْوَعْدُ لُقْيَا فِي جِبَالِ الْقُدْسِ

هوامش البحث

١. رمية بحجر: أي بحيث لو رمى رام حجراً من الموضع لوصل إلى بيت المقدس.

٢. موسوعة بيت المقدس، فؤاد إبراهيم عباس (٢ / ٩). والقدس بين الأمس واليوم، اللجنة القطرية الفلسطينية لدعم القدس، ص ٣، ٧.

٣. القدس بين الجاهلية والإسلام، محمود عبد الفتاح المقيد، ص ٣٤.

٤. الموسوعة الفلسطينية، (ق٢ / م٦ / ٧٩٧)، وموسوعة بيت المقدس، فؤاد إبراهيم عباس، (٢ / ٩)، ويرى البعض أن اسم ييوس كان أسبق من أورشليم؛ حيث يذكرون أن نزوح اليوسيين إلى أرض فلسطين كان منذ ٤٠٠٠ ق. م، انظر: معجم بلدان فلسطين، محمد شراب، ص ٣٦.

٥. لسان العرب، ابن منظور.

٦. معجم البلدان، ياقوت الحموي.

٧. تجدر الإشارة إلى أن «أورشليم» تعني: ميراث السلام، كما أنها ليست اسمًا عبريًا أصيلاً للقدس؛ فقد كانت تحمل هذا الاسم قبل دخول العبريين إليها بشهادة نص تل العمارنة، وبدليل أن اليهود وجدوا صعوبة في كتابة هذه الكلمة بالعبرية، فكتبوها: «يروشاليم»، وهذه الياء الواقعة قبل الميم الأخيرة لم تكن تثبت في الكتابة العبرية، وقد كتبت بدونها في أسفار العهد القديم ٦٥٦ مرة، وكتبت بها ست مرات فقط؛ ولذلك نص علماء التلمود على وجوب كتابتها دون الياء.

٨. فلسطين: القضية الشعب الحضارة، د. بيان الحوت، ص ٩٠.
وبلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ، ص ٩، ٧١.

٩. فلسطين: القضية الشعب الحضارة، د. بيان الحوت، ص ٩٠.

١٠. معجم بلدان فلسطين، محمد شراب، ص ٣٦.

١١. القدس بين الجاهلية والإسلام، محمود عبد الفتاح المقيّد، ص ٢٧.

١٢. انظر: «تهويد أسماء الأماكن الفلسطينية: الأيديولوجيا - التطبيقات - المواجهة»، إبراهيم عبد الكريم، مقال منشور بمجلة «شئون عربية»، عدد جمادى الأولى ١٤٢٠هـ، سبتمبر ١٩٩٩م.

١٣. الصهيونية العالمية وإسرائيل، د. حسن ظاظا، ص ١٦، ١٧.

١٤. اليهود في التاريخ القديم، د. أحمد حماد، ص ١٢، ١٣.

١٥. مجلة مختارات إسرائيلية، العدد ١٨٤، أبريل ٢٠١٠، ص ٥٢، ٥٣.

١٦. اليهود في التاريخ القديم، د. أحمد حماد، ص ١٠، ١١.

* * *

المصادر

- الأعمال الكاملة لنزار قباني / نزار قباني . - القاهرة: الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.
- أمل دنقل: الأعمال الكاملة / أمل دنقل . - ط ٢، مزيدة ومنقحة . - القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥م.
- ديوان علي محمود طه: الأعمال الشعرية الكاملة / تأليف علي محمود طه . - بيروت: دار العودة للطباعة والطباعة، ٢٠٠٤م.
- ديوان فدوى طوقان / تأليف فدوى طوقان . - بيروت: دار العودة للطباعة والطباعة، ١٩٨٨م.
- ديوان المتنبي / تأليف أبي الطيب المتنبي . - بيروت: دار الجيل، ١٩٩٠م.

- ديوان المهلهل / تأليف المهلهل بن ربيعة؛ شرح وتحقيق محسن الفوال. - بيروت: دار الجيل، ١٩٩٥ م.
- الصهيونية العالمية وإسرائيل / تأليف حسن ظاظا. - دبي: دار الفضيلة، ١٩٧١ م.
- فاروق جويده: الأعمال الشعرية / تأليف فاروق جويده . - ط ٢ . - القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧ م.
- فلسطين: القضية الشعب الحضارة التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين ١٩١٧ / تأليف بيان نويهض حوت. - ط ١ . - بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، ١٩٩١ م.
- لسان العرب / تأليف ابن منظور. - ط ٣ . - بيروت: دار صادر، ١٩٩٤ م.
- مجلة مختارات إسرائيلية / مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية. - (س ١٦، ع ١٨٤). - القاهرة: المركز، ٢٠١٠ م.

- معجم البلدان / تأليف ياقوت الحموي؛ تحقيق فريد عبد العزيز الجندي. - ط ١. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ م.
- معجم بلدان فلسطين / محمد محمد حسن شراب. - عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠ م.
- موسوعة بيت المقدس / تأليف فؤاد إبراهيم عباس. - القاهرة: المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٩٦ م.
- الموسوعة الفلسطينية / تأليف صبحي سعيد طوقان. - الإسكندرية: دار الكتب الجامعية، ١٩٦٩ م.
- اليهود في التاريخ القديم / تأليف أحمد حماد. - القاهرة: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٩ م.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	الإهداء
٥	مقدمة
١١	القدس في اللغة
١٥	أسماء القدس عبر التاريخ
٢١	القدس .. والتهويد اللغوي
٢٤	حقيقة مصطلح « السامية » لغوياً
	التوظيف السياسي لمصطلح السامية « وادعاءات
٢٨	اليهود »
٢٩	أنماط التسميات الصهيونية اليهودية

٤٠	الشعر في محراب القدس
٤١	أمجاد حطين وتحرير القدس
٤٦	في مدح محرر القدس لـ «عماد الدين الأصفهاني»
٥٢	نشيد الجهاد
٥٥	أخي جاوز الظالمون المدى لـ «علي محمود طه»
٥٩	شعر المقاومة وتصحيح المفاهيم
٦٥	أنامع الإرهاب!! لـ «نزار قباني»
٧٧	المقاومة هويّة
٨٣	عاشق من فلسطين لـ «محمود درويش»
٩٤	فرسان في زمن الهزيمة
١٠٤	لاتصالح لـ «أمل دنقل»
١٢٠	ثورة أطفال الحجارة
١٢٤	طفل الحجارة لـ «محمد الفيتوري»

١٢٩	ماذا تبقى من بلاد الأنبياء؟
١٣٤	أرض الأنبياء لـ «فاروق جويده»
١٤٦	القدس في دَمِنَا
١٤٩	لأنَّكَ عشت في دَمِنَا لـ «فاروق جويده»
١٥٦	قالت الأعراب آمناً!
١٦٠ ...	ورقة متأخرة إلى شرم الشيخ لـ «إبراهيم محمد إبراهيم»
١٦٨	الوعد لنا
١٧٢	الأغنية الوصية لـ «فدوى طوقان»
١٨٠	خاتمة
١٨٣	هوامش البحث
١٨٦	المصادر
١٨٩	الفهرس



رقم الإيداع

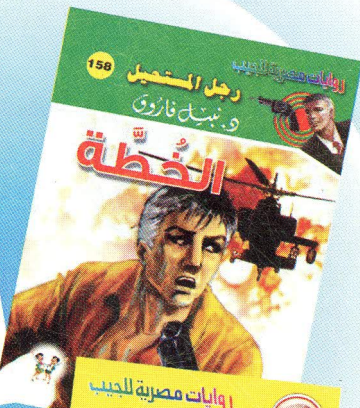
٢٠١١ / ١١٣٢٧

I.S.B.N

977-07-1491-7

روايات مصرية للجيب

شلال متدفق من الروايات



أكثر الروايات باللغة العربية
إثارة ، وأحفلها بالمتعة والثقافة

تذوق متعة القراءة مع
أحلى القصص ، وأجمل الروايات



المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع 10 ، 16 ش كامل صدقي الفجالة ،
4 ش الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة - القاهرة - ت : 26823792 - 25928202 - 22586197
فاكس - 202/25966650 ج.م.ع. 4 ش بدوى محرم بك - الإسكندرية ت : 03/4970840 - 03/4970850